

المسحاة

مجلة

المجلد الثامن عشر
الجزء الثامن



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فبئس
أولئك الذين هدامهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و« مناراء كمنار الطريق »

مصر ٣٠ شوال ١٣٣٣ — ١٧ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٣ هـ ش ١٠ سبتمبر ١٩١٥

حال المسلمين مع غيرهم في العصر الاول

ان حالة الامم الاجتماعية والسياسية والادبية لها شأن كبير في تطبيق الاحكام على الوقائع وهو ما يسميه علماء الاصول « تحقيق المناط » ومن عرف التاريخ وفقه قواعد علم الاجتماع منه فانه هو الذي يفقه سبب اعراض الفقهاء والحكام عن قبول شهادة غير المسلمين عليهم . وأحق ما يجب فقحه من تلك القواعد أربع ينبغي التأمل فيها بعين العقل والانصاف

(أحدها) ما كان عليه المسلمون في القرون الأولى للإسلام من الاستمسك بعروة الحق ، وإقامة ميزان العدل ، وعدم المحاباة والتفرقة في ذلك بين مؤمن وكافر ، وقريب وبعيد ، وصديق وعدو ،

(ثانيها) ما كانت عليه جميع الامم التي فتحوا بلادها ، وأقاموا شريعتهم فيها ، من ضعف وازع الدين ، وفساد الاخلاق والآداب ، وقد قرر ذلك مؤرخو الإفرنج وغيرهم وجعلوه أول الاسباب الاجتماعية لسرعة الفتح الإسلامي في الخلفين

(ثالثها) ما جرى عليه الفاتحون من المسلمين من المبالغة في التوسعة على أهل ذمتهم في الاستقلال الديني والمدني ، اذ كانوا يسمعون لهم بأن يتحاكموا الى رؤسائهم في الامور الشخصية وغيرها — فكان من المعقول مع هذا أن لا يشهدوهم على قضايا

[المنار : ج ٨ م ١٨] نسبة ما ينكر على المسلمين الى القرآن وهو فوق الجميع ٥٨٣

أنفسهم الخاصة ، وان يمنعهم نظرم الى ما يفهما من التفاوت في الاحوال الدينية والادبية التي أشرنا اليها آنفاً من قبول شهادتهم على أنفسهم ، مع عدم ثقتهم بتدينهم وعدالتهم

(رابعها) تأثير عزة السلطان وعهد الفتح الذي كانت الاحكام فيه أشبه بما يسمونه الآن بالاحكام العسكرية . واعتبر ذلك بأحكام دول الافرنج في أيام الحرب ، بل في المستعمرات التي طال عليها عهد الفتح أو ما يشبه الفتح ، يتبين لك ان أشد أحكام فقهاء المسلمين وحكامهم على غيرهم هي أقرب الى العدل والرحمة من أحكام أرقى أمم المدنية من دونهم

وقد علم من حال البشر ان الغالب قلما يرى شيئاً من فضائل المغلوب وان كثرت ، فكيف يرجى ان يرى قليلاً الضئيل الخفي ؟ والجماعات الكبيرة والصغيرة كالافراد في نظر كل الى نفسه والى أبناء جنسه بعين الرضا والى مخالفه بعين السخط . مثال ذلك ان امرأة من فضليات نساء سويسرة دينا وأدبا وعلماً راقبت أحوال الاستاذ الامام وسيرته مدة طويلة اذ كان يختلف الى مدرسة (جنيف) لتلقي آداب اللغة الفرنسية ، وكلمته مراراً في مسائل من علم الاخلاق والتربية — وكانت بارعة ومصنفة فيهما — فأعجبها رأيه ، كما أعجبها فضله وهديه ، ثم قالت له بعد ذلك : إنني لم أكن أظن قبل ان عرفتك ان القداسة توجد في غير المسيحيين

فمن تأمل ما ذكر تجلت له الاسباب المعنوية والاجتماعية التي صدت الاحكام والفقهاء عن قبول شهادة غير المسلم على المسلم . وتعجب من سعة أحكام القرآن ، التي يتوهم الجاهلون انها ضد ما هي عليه من الاطلاق وموافقة كل زمان ومكان ، فتراهم ينسبون الى القرآن كل ما ينكرونه على المسلمين من آرائهم وأعمالهم وأحكامهم بالحق أو بالباطل ، ولو كان المسلمون عاملين بالقرآن كما يجب لما أنكر عليهم أحد ، بل لا تبعهم الناس في هديهم ، كما اتبعوا سلفهم من قبلهم ، بل لكانوا أشد اتباعاً لهم ، بما يظهر لهم من موافقة هدايته لهذا الزمان ، وموافقتها لأرقى ما وصل اليه من نظام وأحكام ، وهذا من أجل معجزاته التي تتجدد بتجدد الازمان .

﴿إعراب الآية الثانية الذي اضطرب فيه النحاة﴾

قد تبين مما فصلناه ان الذين عدوا الآيتين في غاية الصعوبة لمخالفة مذاهبهم لها مخطئون ، وان الواجب رد المذاهب اليهما لا تأويلهما لتوافقا المذاهب ، وأما الذين استشكلوا اعراب جملة من الآية الثانية ، وعدوا لاجلها الآية أو الآيات في غاية الصعوبة — فانما أوقعهم في ذلك احتمال التركيب لعدة وجوه من الاعراب ، بما فيها من تعدد القراءات ، مع اعتيادهم تقديم الاعراب على المعنى وجعله هو المبين له ، وقد استحسننا بعد ايضاح تفسير الآيات بما تقدم ان نذكر ملخص ما قيل في إعراب تلك الجملة نقلا عن (روح البيان) الذي يلتزم بتحقيق المباحث النحوية في جميع الآيات ، عسى ان يستغني القارئ به عن مراجعة تفسير آخر . ونبدأ بجواب الشرط لانه مبدأ ما استشكلوه من الاعراب . قال المؤلف رحمه الله تعالى :

(فآخران) أي فرجلان آخران وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يقومان مقامهما) والفاء جزائية وهي إحدى مسوغات الابتداء بالنكرة ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وصفته وهو قوله سبحانه (من الذين استحق عليهما الأوليان) وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي فالشاهدان آخران، وجملة يقومان صفته والجار والمجرور صفة أخرى. وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من ضمير يقومان وقيل هو فاعل فعل محذوف أي : فليشهد آخران. وما بعده صفة له . وقيل مبتدأ خبره الجار والمجرور والجملة الفعلية صفته وضمير مقامهما في جميع هذه الأوجه مستحق للذين استحقا ، وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي توليها ولم يؤديها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف. واستحق بالبناء للفاعل على قراءة عاصم في رواية حفص عنه وبها قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن عباس وأبي رضي الله تعالى عنهم ، وفاعله «الأوليان» والمراد من الموصول أهل الميت ، ومن الأوليين الأقربان إليه الوارثان له الاحقاق بالشهادة لقربهما واطلاعهما ، وهما في الحقيقة الآخران القامان مقام اللذين استحقا اثما ، الا أنه أقيم المظهر مقام ضميرها للتنبيه على وصفهما بهذا الوصف ، ومفعول استحق محذوف

[المنار : ج ٨ م ١٨] اعراب الجملة المشككة في الآيات ٥٨٥

واختلفوا في تقديره فقدره الزمخشري أن مجردوها للقياس بالشهادة ليظهروا بهما كذب الكاذبين، وقدره أبو البقاء وصيتها . وقدره ابن عطية ما لهم وتركهم، وقال الامام : ان المراد بالاوليان الوصيان اللذان ظهرت خياتهما وسبب أولويتها أن الميت عينها للوصية . فعنى «استحق عليهم الاوليان» خان في ما لهم وجنى عليهم الوصيان اللذان عثر على خياتهما، وعلى هذا لضرورة الى القول بحذف المفعول، وقرأ الجمهور «استحق عليهم الاوليان» بناء استحق للمفعول واختلفوا في مرجع ضميره والا كثرون انه الاثم والمراد من الموصول الورثة لان استحقاق الاثم عليهم كناية عن الجناية عليهم، ولا شك ان الذين جنى عليهم وارتكب الذنب بالقياس اليهم هم الورثة، وقيل انه الايصاء، وقيل الوصية لتأويلها بما ذكر . وقيل المثل . وقيل ان الفعل مسند الى الجار والمجرور، وكذا اختلفوا في توجيه رفع الاوليان فقيل انه مبتدأ خبره «آخران» أي الاوليان بأمر الميت آخران، وقيل بالعكس، واعترض بأن فيه الاخبار عن النكرة بالمعرفة وهو مما اتفق على منعه في مثله، وقيل خبر مبتدأ مقدراً أي هما الآخران على الاستئناف البياني، وقيل بدل من آخران، وقيل عطف بيان عليه، ويلزمه عدم اتفاق البيان والمبين في التعريف والتكثير مع أنهم شرطوه فيه حتى من جوز تنكيره، نعم نقل عن نزر عدم الاشتراط، وقيل هو بدل من فاعل يقومان وكون المبدل منه في حكم الطرح ليس من كل الوجوه حتى يلزم خلوت تلك الجملة الواقعة خبراً أو صفة عن الضمير على انه لو طرح وقام هذا مقامه كان من وضع الظاهر موضع الضمير فيكون رابطاً، وقيل هو صفة آخران، وفيه وصف النكرة بالمعرفة والاخفش أجازها هنا لأن النكرة بالوصف قربت من المعرفة، قيل وهذا على عكس * ولقد أمر على التثنية بسني * فانه يؤول فيه المعرفة بالنكرة . وهذا أول فيه النكرة بالمعرفة أو جعلت في حكمها للوصف، ويمكن — كما قال بعض المحققين — أن يكون منه بأن يجعل الاوليان لعدم تعيينهما كالنكرة، وعن أبي علي الفارسي انه نائب فاعل «استحق» والمراد على هذا استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة كما قال الزمخشري، أو اثم الاوليين كما قيل . وهو تثنية الاولى قلبت ألفه ياء عندها، وفي على في «عليهم» أوجه الاول انها على بابها، والثاني انها بمعنى في، والثالث انها بمعنى من . وفسر استحق بطلب الحق

٥٨٦ حديث مسلم في كفر تارك الصلاة [المنار: ج ٨ م ١٨]

وبحق وغلب . وقرأ يعقوب وخلف وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه « استحق عليهم الاولين » ببناء استحق للمفعول والاولين جمع أول المقابل للآخر وهو مجرور على انه صفة الذين أو بدل منه أو من ضمير عليهم أو منصوب على المدح . ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة وقيل التقدم في الذكر لدخولهم في (يا أيها الذين آمنوا) وقرأ الحسن « الاولان » بالرفع وهو كما قدمنا في الاوليان، وقرأ « الاولين » بالتثنية والنصب، وقرأ ابن سيرين « الاولين » بياءين تثنية أولى منصوبا وقرأ « الاولين » بسكون الواو وفتح اللام جمع أولى كأولين واعراب ذلك ظاهر

البرهان

على

خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان

جمع أدلته من الكتاب والسنة محمد على أبو زيد

الطاب بكية دار الدعوة والارشاد

٢

يزيدك بياناً لهذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة » أخرجه مسلم^(١) ولا يحتاج بعده الى شرح وبيان،

(١) المنار : رواه مسلم عن جابر بن عبد الله من طريق أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس وهو ثقة عند الجمهور روى له الا البخاري فانه لم يرو له الا متابعة . وكان ابن حزم يرد من حديثه ما يقول فيه : عن جابر ، لأنه مدلس . وههنا صرح بسماعه منه . وطعن فيه شعبة ونهى عن الكتابة عنه قال لانه لا يحسن يصلي ، ولكونه سيء صلاته . بل قال انه كذب على رجل واعتذر عن ذلك بأنه أغضبه . واحتج =

[المنار: ج ٨ م ١٨] الاستعانة بالصلاة على المقاصد الصحيحة ٥٨٧

ومنه قوله تعالى في سورة البقرة (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين » الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم اليه راجعون)
تراه في هذه الآية جمل الصلاة يستعان بها ، ولم يذكر ما يستعان
عليه ، ليشمل كل الامور الدينية والدنيوية ، وذلك - كما بينا قريبا - أنها
تشغل النفس بذكر الله تعالى فتصقلها كصقل الجلاء للمرأة ، فيرى صاحبها
بقربه من ربه ما لا يراه صديء النفس ، فتقوى فيه الروحانية ، والمرء

= على الشافعي بحديثه فغضب وقال: أبو الزبير يحتاج الى دعامة. وقال أبو زرعة وأبو حاتم
لا يحتج به. ورواه أيضا من طريق أبي سفيان طلحة بن نافع وقد روى له الجماعة الا
أن البخاري لم يرو له في الصحيح الا مقرونا بغيره ، وقال سفيان بن عيينة : حديثه
عن جابر إنما هو صحيفة. أي لم يسمع منه مع أنه صرح بالسماع في رواية مسلم . وقال
ابن معين فيه : لا شيء . وقال ابن المديني . كانوا يضعفونه .

أما لفظ الحديث من الطريق الاول فهو « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر
ترك الصلاة » ومن الطريق الثاني « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »
قال النووي في شرحه : هكذا هو في جميع الاصول من صحيح مسلم - الشرك
والكفر بالواو - وفي مخرج أبي عوانة الاسفرايني وأبي نعيم الاصبهاني - أو الكفر
باو . ولكل منهما وجه . ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة - ان الذي يمنع
من كفره كونه لم يترك الصلاة فاذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل . ثم ان الشرك
والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى ، وقد يفرق بينهما فيخص
الشرك بعبد الاوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش ،
فيكون الكفر أعم من الشرك والله أعلم . وذكر قبل ذلك أن الجمهور من السلف
والخلف لا يقولون بكفر تارك الصلاة الا اذا جحد وجوبها ، وحملوا مثل هذا الحديث
على ما رأيت في تفسيره له من كون تركها قد يفضي الى الكفر أو اذا كان جاحدا .
وقال بعض السلف بكفره وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه وعن عبد الله بن
المبارك واسحق بن راهويه ، قال النووي : وهو رواية عن أحمد ، ووجه لبعض أصحاب
الشافعي ، وسيأتي جمعنا بين الاقوال

متى قويت روحه ، قويت إرادته واشتدت عزمته ، فتسهل أمامه كل صعوبة ، ويفوز في كل عمل تطالبه الحياة ، وهذا كله هو حظ الشارع الحكيم ، ممن يخضع لأمره ، ويؤمن بشوابه وعقابه

وقد أفاد جل شأنه بقوله (وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملائكة ربهم) الآية ان الصلاة إنما تكبر وتثقل على من لم يؤمن بالآخرة ، ومن لم يصدق بملاقاة ربه وجزائه ، (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وحده

وها هنا نكتة بليغة في قوله (يظنون) فإنه لم يقل « يوقنون » ليفيد أن الظن — وإن كان لا يعني من الحق شيئا — يكفي حاملا للمرء على العمل احتياطا ، ما دام يرجح عنده أنه سيرجع الى الله فيحاسبه ويجازيه . فكأنه تعالى يقول : إن من يعتقد اعتقاد ظن ورجحان^(١) لم يصل فيه الى درجة اليقين بالبرهان ، انه سيلقي ربه فيحاسبه ويجازيه ، لم تثقل عليه الصلاة ولا تشق ، بل يقيمها بنشاط على خشوع وراحة

وهذا مبني على سنة الله تعالى في النفس ، متى ترجح عندها الاجر والمنفعة في العمل نشطت اليه ، وهشت له ، وإن كان سخرة أو ضرا ، كبر عليها ، وجزعت منه . واذا كان ذلك حال الظان — لا يترك الصلاة ولا تثقل عليه اقامتها ، بل يحافظ عليها ، ويرتاح بها — فما بالك بالموقن هل يترك الصلاة ، أو يتثقل عليه شيء منها ؟ أم ينتظر أوقاتها ، ويقول كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » ؟

ومنه قوله تعالى في سورة الانعام (وهذا كتاب أنزلناه مبارك

(١) الظن الاعتقاد الراجح ، ولا يشترط فيه تصور مقابل مرجوح

مصدق الذي بين يديه ، ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)

جعل سبحانه المحافظة على الصلوات شأنًا من شؤون أهل الإيمان
بالآخرة وبالقرآن ، وجعل هذا الإيمان داعيًا إليها ، وباعثًا عليها ، وذلك
أن قوله « وهم على صلاتهم يحافظون » يفيد أن الذي يؤمن باليوم الآخر
ويصدق بأن فيه الجزاء الأوفى — الطيب للطيب ، والخيث للخيث ،
لا بد أن يصدق بالقرآن ، ولا بد أن يكون على تلك الحالة ، ومتصفا
بتلك الصفة — المحافظة على الصلاة

واختيار التعبير بالفعل « يحافظون » على الوصف « يحافظون » يدل
على الدوام والاستمرار . أي أنه لا ينفك عنها في وقت من الأوقات .
والآية وما قبلها نص في أن الإيمان بالآخرة يستلزم الإيمان بالقرآن ،
والإيمان به يستلزم إقامة الصلاة ، ومفهومه أن من لم يحافظ عليها كافر ،
وعلى هذا يكون القرآن قد بين أن الصلاة هي الفارق بين المؤمن والكافر .
ويجلي لك هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »
رواه مسلم وأبو داود والترمذي ، وفي رواية « بين العبد وبين الكفر ترك
الصلاة » وقوله (ص) « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر »
رواه الترمذي والنسائي وصححه ، فتأمل هذه التصريحات في هذه الأحاديث ،
وانظر التحقيق من النبي (ص) بلفظة « فقد كفر » وكلها في معنى الآيات
التي سمعت

وأزيدك أن النبي (ص) قال « من ترك صلاة العصر فقد حبط
عمله » رواه البخاري والنسائي ، ومن المعلوم في الشرع أن الذي يحبط

عمله هو الكافر، قال تعالى في سورة المائدة (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله) فإذا كان تارك المصّر كافراً، فما ظنك بتارك جميع الصلوات؟ ولما جاء وفد ثقيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسلموا، قالوا: اسمع لنا في أن ندع الصلاة، وألا نكسر أصنامنا بأيدينا. فقال صلى الله عليه وسلم «أما كسر أصنامكم بأيديكم فقد عفوناكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه» وأبى صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم الإسلام إلا بالصلاة، وأنت ترى أن في قوله «لا خير في دين لا صلاة فيه» أن تارك الصلاة لا يعتمد بتدينه - وعلى هذا قد درج الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن شقيق^(١) أنه قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفراً إلا الصلاة، وذلك لما قدمنا من أن الصلاة أصل، فالمحافظة عليها تستلزم المحافظة على كل الدين

وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة. رواه مالك وغيره

س ان ما تقدم من الأدلة كله صريح في أن تارك الصلاة غير مسلم مطلقاً، ولا أراني أشك بعد في ذلك، إذا ما معنى قول بعضهم: من

(١) المنار: قد كان عبد الله هذا ناصبياً يبغض علياً عليه السلام وقد صح الحديث عن مسلم أنه لا يحببه إلا المؤمن ولا يبغضه إلا منافق. فاخذ الكاتب بظواهر مثل هذا الحديث يقتضي ألا يحتج بما يرويه عبد الله بن شقيق ولا يعتد بإيمانه، وما تقدم عن النووي يفيد أن جمهور الصحابة لا يعدون مجرد ترك الصلاة كفراً بمعنى الردة عن الإسلام، وحسب التارك لها أنهم اختلفوا في إيمانه، وسيأتي الجمع بين الأقوال في ذلك

[المنار : ج ٨ م ١٨] الدلائل على كفر مانع الزكاة ٥٩١

تركها كسلا لا يكفر . وما معنى التفريق بين من يتركها بكسل أو غيره؟
ج لا معنى لذلك الا مخالفة النصوص الصريحة ، وعدم تدبر القرآن
والسنة الصحيحة^(١) وما دمنا نقول كما قال القرآن : ان المحافظة
على الصلوات من شأن المؤمنين ، ومن صفاته الملازمة له ، فالجهد منها ،
المتخلي عنها ، غير مؤمن ضرورة ، لكونه عري من صفة الإيمان الفعلية .
على أن الله سبحانه قد صرح بأن الكسل في الصلاة من شأن المنافقين
وصفاتهم ، فقال عز شأنه في سورة النساء (ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى)

وليس المنافقون بأقل من الكافرين ، قال تعالى في سورة براءة
(ان المنافقين هم الفاسقون — أي الخارجون عن الدين — وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله
ولهم عذاب مقيم)

قرن الله تعالى في هذه الآية المنافقين مع الكافرين ، ووعد الجميع
معاً الخلود في جهنم والعذاب الدائم ، بل قد حطهم عنهم فقال في سورة
النساء (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً)

الى هنا انتهينا من أدلة الصلاة وحدها

فاليك ما جاء في الزكاة أختها

قال الله تعالى في سورة فصلت (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما
أحكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) فتأمل كيف جعل منع الزكاة من صفات
(١) المنار: هذا تهور عظيم والصواب أن سببه تعارض النصوص كما سنبينه بعد

المشركين وشأنهم ، وإنما كان منعها من شأن المشرك بربه لأنه يؤثر المال على حبه، وقد قرن منع الزكاة بالكفر بالآخرة، لأنهم لو كانوا واثقين بخبر الله ، ومؤمنين بجزائه ، لأنفقوا من مالهم رغبة في ثوابه ، وخوفاً من العيِّ بناره . قال تعالى (يوم يحمى عايبها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) (وقال) جل ثناؤه في سورة آل عمران (لن تنالوا البرحتى تنفقوا مما تحبون) علّق نيل البر على الاتفاق مما يجب ، فمن لم ينفق مما يجب ، لا حظ له من البر ، والبر نعيم الله ورضوانه . فمانع الزكاة — وهي أول مقصود بالاتفاق — محروم من نعيم الله ورضوانه كافر^(١)

ولعلك تلاحظ الحكمة في تقييده الاتفاق بأن يكون المنفق منه محبوباً عند المنفق، إذ المرء لو ألتفق لله ما يكره ، لا يكون اتفائه له بسبب حبه إياه ، بل يعتبر غرماً ومظلمة ، أو شيئاً كريهاً رغب الخلاص منه بهذه الطريقة رياء ، أما لو ألتفق من شيء محبوب له ، يكون حبه الله قد رجح في نفسه على حبه المال ، فدعاه الى بذل المال على حبه إياه ، وهناك يظهر الفضل بالتوحيد والاخلاص

(وقال) تعالى في سورة الأعراف (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) بين أن رحمته واسعة ، ولكنها لا تكتب لكل الناس ، بل كتابها وإيجابها خاص بالأتقاء المعطين الزكاة ، فالذي يمنع الزكاة ، يمنع كتابة الرحمة له ، فلا يكون له حظ فيها ، بل يكون بعيداً عنها ، ومحروماً منها (لها بقية)

(١) المنار: الآية لا تدل على ذلك فالعمل بها يتم بما دون الزكاة الشرعية

مَلِكُ الْمَسْتَعْرِ ذَانُ الدَّعْوَةِ وَالْإِنْتِشَانِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٠

سموم الميكروبات

نحدث بنمو كل نوع من الميكروبات مواد عديدة في السائل الذي تربى فيه. ومن أضرها مواد زلالية ومواد آزوتية تشبه المواد الآزوتية النباتية المسماة [Alkaloids] أي الشبيهة بالقلوية كمادة الاستر كين، وهي مواد تفتك بالاحياء فتكا ذريعا مهما تكن قليلة. وهذه المواد تتولد بطريقتين: الأولى أنها تتولد في نفس جسم الميكروب ثم تخرج منه شيئا فشيئا، والثانية أنها تتولد في السائل نفسه وذلك بافراز الميكروب مادة (خبرة) تشبه الخائثر - المذكورة في الجزء الاول - وهذه الخبرة لها تأثير كيمائي مخصوص في المواد المحيطة بها، فتحدث فيها تراكيبا وتحليلا ينشأ منه مواد متنوعة ومن الميكروبات ما يبقى جل سمي في جسمه ولا يخرج الا اذا استخلص منه ببعض الطرق العلمية، وذلك مثل ميكروب الطاعون والسكوليرا والحمى التيفودية، ويسمى مثل هذا السم « بالسم الكامن » [Endotoxin] وفي الجسم المريض تنحل بعض هذه الميكروبات فتخرج منها سمومها وتسري فيه فتحدث المرض ومن المواد التي تتولد في السائل الذي يربى فيه الميكروب ما يقتل الميكروب نفسه، فانها قد تولد حامض الفنيك أو الفول (الكحول) أو الخل الى غير ذلك من المواد التي تستعمل مطهرات لقتل الميكروبات

الميكروبات والبيئة

تنقسم الميكروبات - باعتبار ما تعيش فيه - الى ثلاثة أقسام: فمنها ما لا ينمو عادة الا في الحي (١) ومنها ما لا ينمو الا في الميت، ومنها ما يمكنه أن ينمو في الاثنين (١) هذا لا ينافي أن أكثرها يمكن تربيته تربية صناعية على أشياء غير حية كاللرق - كما تقدم -

معا، فمثال الاول ميكروب الحمى الراجعة ، ومثال الثاني بعض ميكروبات الحمى النفاسية وهي التي تعيش في الدم والسوائل المنتنة التي تتخلف أحيانا في الرحم عقب الولادة

ومن هذا النوع الميكروبات التي تحدث تحليل جثث الموتى والتي تفسد اللبن فيخثر ، ومنها ما يحول البولينا الى كربونات النوشاد والحجر الى خل . ولهذه الميكروبات فائدة كبرى في العالم فانها تحول الاجسام المركبة الى بسائط فتعود الى عالمي الحيوان والنبات فينتفعان بها. ولذلك وجد العلماء طريقة عظيمة لتحليل المواد البرازية ، فانها تلقى في مستودعات مخصوصة فيتسلط عليها في اولها الميكروبات التي لا تنمو في الاكسجين ، وفي الثانية الميكروبات التي تنمو فيه ، فبذلك تتحلل جميع المواد البرازية وتستحيل الى ماء وغاز ثاني أكسيد الفحم وأملاح النترات وهذه الاشياء كلها صالحة للنبات فيسقى بها الزرع وفيه تتحول مرة أخرى الى مواد مضاعفة التركيب ضرورية للحيوان والنبات، فكان نظام هذا العالم موقوف على عمل الميكروبات والنبات ، ولولاها لفسد وبطل

فالنباتات الدنيئة (البكتيريا) تركب قليلا وتحلل كثيرا ، والنباتات الكبيرة تركب كثيرا وتحلل قليلا كتحليلها بعض غازات الهواء، فعلى النبات مدار الحياة ومثال الميكروب الذي يعيش عادة في الحي والميت باسيل التيتانوس، وكذلك باسيل الدفثيريا (والتي منها الخناق) فان هذين الميكروبين يعيشان كثيرا في الطين، وقد ينتقلان منه الى الانسان ، الا ان ميكروب التيتانوس لا يعيش في جسم الانسان بعد ظهور أعراض هذا المرض الا قليلا . ومن طرق وصول ميكروب الدفثيريا الى الانسان أنه يكون مختلطا بالطين فاذا زادت المياه التي في جوف الارض كما يحصل عند فيضان الانهار ضغطت على الهواء الموجود خلال الطين فيندفع منها الى جوف المدن حاملا لهذا الميكروب الخبيث فيصاب كثيرون بهذا المرض

والميكروبات لا تموت مالم يقتلها شيء ، وأكثرها مقاومة للطوارئ ما كان له حبيبات ، وهذه الحبيبات نفسها تعيش مدة طويلة من الشهور أو السنين حتى في الاحوال غير المناسبة للحياة كالجفاف والبرد . ولا عجب في ذلك ، فقد عرف

[المنار: ج ٨ م ١٨] أبواب دخول الميكروبات الى الجسم ٥٩٥

أن بعض حبوب النباتات الكبيرة عاش نحو مئة سنة ولا يعلم بالتحقيق أن الحبوب يمكنها أن تعيش (أعني تبقى حية) أكثر من ذلك وما قيل من أن حبوب بعض الهياكل أو القبور القديمة نبت بعد ألوف من السنين فهو كذب محض، وقد ثبت أن حبوب القمح تعيش نحو سبع سنين على الأكثر، وعليه فالقمح الذي خزنه المصريون في زمن يوسف عليه السلام كان يمكن انباته في نهاية السنة السابعة. وأكثر الميكروبات التي لا حبيبات لها تقتل عادة بجمرة ٦٥ سنتغراد في نحو نصف ساعة

وميكروبات التعفن تقتل الميكروبات المرضية عادة، وهذه الميكروبات التعفننية تكون في الغالب من النوع الباسيلي (المستطيل) فإذا أصيب انسان بالتسمم البديدي الناشئ على الأكثر من البذور السلسلية ومات فأراد طبيب أن يشرح جسمه عقب الوفاة مباشرة كان من أشد الخطر على هذا الطبيب أن يُجرّح ويتلفح جسمه بشيء من الجثة، وأما إذا تركت هذه الجثة زمنا حتى تعفن فإن ميكروبات المرض التي فيها تقتلها ميكروبات التعفن شيئا فشيئا حتى تزول من الجثة، وحينئذ لا يكون في تشريحها خطر على حياة الطبيب

أبواب دخول الميكروبات الى الجسم

لدخول الميكروبات في الجسم أبواب عديدة، وهي الرئتان (لمثل ميكروب الحمى القرمزية) والجهاز الهضمي (لمثل ميكروب الحمى التيفودية) والجلد (لمثل الزهري) والأغشية المخاطية كالأغشية أعضاء التناسل أو العين وغيرها (لمثل السيلان والدفتيريا)

ولا يشترط أن يكون سطح الجسم أو الأغشية المخاطية مجروحة، فقد يدخل الميكروب من الأماكن ذات العجالة الرقيقة أو من مسامها، ولكن الجرح أو السحج مما يسهل دخوله كثيرا كما هو ظاهر

فإذا دخل الميكروب الجسم من هذه المنافذ فنه ما يبقى في مكان دخوله، ومنه ما يصل الى الدم أو المادة اللغافية ويدور معها حيث دارت. وفي كلتا الحالتين يولد الميكروب سمّا زعافا وهو الذي يقتل الحيوانات ويحدث فيها جميع الحيات،

٥٩٦ زمن التفريخ . امارات اختصاص الميكروب بمرض ما [المنار: ج ٨ م ١٨]

الا ان بعض هذه الميكروبات يحدث أمراضا ليست الحى شرطافيهاء مثل مرض (الكزاز) فتال ما يدور في الدم ميكروب (التسمم الصيدي وميكروب الحى الراجعة) ومثال الذي لا يدور في الدم (التيتانوس والدقيريا) فان ميكروبهما يبقى على الاكثر في مكان التلقيح الا انه بعد الموت قد ينفذ الى جميع أجزاء الجثة ، واذا نفذ الى الدم في أثناء الحياة التهمت كريات الدم البيضاء أو بقي في بعض الاعضاء التي تعطله فيها وتقتله غالبا بخلاياها ، كالكبده والطحال

زمن التفريخ

اذا دخل الجسم أي نوع من الميكروبات لا يحدث المرض فيه في الحال ، بل لا بد من أن يمكث زمنا يتراوح بين يوم أو عدة أسابيع أو عدة سنين (كما في داء الكلب والجذام) فانهما أطول الامراض مدة^(١) وفي هذا الزمن يتكاثر الميكروب في الجسم ويحمل عليه بسمومه فاذا بلغت درجة مخصوصة ابتداء المرض في الظهور . فمن الناس من يختلط مثلا بمصاب بالجذري ولا يظهر فيه المرض إلا بعد نحو ١٢ يوما عادة . وهذا الزمن يختلف باختلاف الامراض فان لكل منها زمنا مخصوصا ، ويسمى هذا الزمن بزمن التفريخ أو الحضانة

وقد عرفت ميكروبات كثير من الامراض ، ولبعضها ميكروبات لم تعرف الى الآن (كالحصبة) فان الدلائل تدل على أن لها ميكروبا لم يكتشف الى الآن وهذه الامراض التي عرفت ميكروبا منها ماله ميكروب مخصوص كمرض الدرن ومرض الحى التيفودية . ومنها ما يشترك فيه عدة ميكروبات كمرض (التهاب الفشاء المبطن للقلب) و (الخراجات) فانهما يحدثان من ميكروبات مختلفة

امارات اختصاص الميكروب الممين بالمرض الممين

يدل على اختصاص بعض الميكروبات بمرض الامراض أمور كثيرة منها :

- (١) وجود الميكروب دائما في هذا المرض (٢) اذا حقن حيوان بهذا الميكروب وكان مستعدا للمرض حصل له ، ووجد هذا الميكروب الخصوص في جسمه
- (١) قد تمتد مدة التفريخ في الجذام الى عشر سنين وفي الكلب الى عشرين

سنة

[المنار: ج ٨ م ١٨] شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها ٥٩٧

(٣) عدم وجود هذا الميكروب في الجسم السليم ، أو المريض بغير هذا المرض ؛ ويستثنى من ذلك بعض الميكروبات كالنزور المزدوجة المسببة للالتهاب الرئوي ، فإنها توجد في فم الصحيح وأنفه ، وتوجد أيضا في غير الالتهاب الرئوي كما في التهاب الشَّغاف (الفشاء المحيط بالقلب الذي يسمونه الآن بالتامور) وكذلك تستثنى مسألة حاملي الأمراض التي سنفصلها

مصادر الميكروبات

تتصل الميكروبات بالإنسان من عدة جهات (١) الهواء (٢) الشراب (٣) الطعام (٤) التراب (٥) سائر أجسام الأحياء والجادات كالملابس مثلا ، وسيأتي إن شاء الله في باب الحيات بيان طرق وصول الأمراض المختلفة إلى الإنسان تفصيلا

شرط تأثير الميكروبات والوقاية منها

ما كل أحد يتصل به ميكروب مرض يصاب بذلك المرض ، بل هناك وقاية للحيوانات من فتك هذه الميكروبات بها دفعة واحدة ، ولولا ذلك لهلك الأحياء في زمن قصير

وهذه الوقاية (وتسمى أيضا المناعة) منها ما هو فطري (أي يولد بها الإنسان) ومنها ما هو مكتسب. أما المناعة الفطرية فقد تكون خاصة بالجنس أو النوع ك بعض الأمراض فالجدام مثلا خاص بالإنسان لا يصيب أي حيوان آخر، وبعض الأمراض يصيب بعض الأنواع دون بعض، كالحمى الصفراء، فإنها لا تصيب السود الا قليلا، وبعض الأمراض تصيب بعض البيوت (الأسر) أو الأفراد دون البعض الآخر، وكل ذلك لأسباب لا نعلمها على وجه التحقيق. وخير الوقاية ما كان فطريا: وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم وما يهيء الجسم للعدوى التعب والجوع والبرد وكل ما ينهك القوى والادمان على الخمر، إلا أن بعض الأشخاص قد يكونون سليمين من كل عيب ومع ذلك يصابون ببعض الأمراض: فمثلا قد نجد أن أسمن الأطفال وأحسنهم صحة يصابون بالقرمزية وتفتك بهم كثيرا. يا أيا الأطفال الآخرون الضعاف لا يصابون بها أو إذا أصيبوا كانت أصابتهم خفيفة

أما المناعة المكتسبة وما في معناها كالمرض بسبب يشبه الكسبي فتكون بما يأتي:

(١) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان مرة واحدة حتى جسمه من الإصابة بهذا المرض مرة أخرى كالزهري والحصبة والجذري مثلا

(٢) من الأمراض ما إذا أصيب به الإنسان حتى جسمه من أمراض أخرى تظاير بعض المغايرة، فمنها جُدري البقر إذا أصاب الإنسان أو أُنْتَح به حماء من الجدري الإنساني، ومنها الحمى الراجعة إذا أصيب بها شخص حتمه غالبا من التيفوس ولكنها لا تحميه من نفسها

(٣) بحقن سم الميكروب أو مصل يستخرج من الحيوانات بطريقة مخصوصة كما في مرض الدفتيريا مثلا. ويان ذلك أن يزرع ميكروب الدفتيريا في سائل (كأرق) ثم يصفى هذا السائل من الميكروب ويحقن حصان بجزء صغير من هذا السائل المصفى، ونظرا لوجود سم ميكروب الدفتيريا في السائل الحقن به يصاب الحصان ببعض أعراض مرضية خفيفة تزول سرعا كالحى وورم في مكان الحقن، ثم يحقن هذا الحصان بمقدار من السائل أكبر فأ أكبر حتى يصل الحصان الى حالة لا يتأثر معها بهذا السم الحقن فيه؛ وعندئذ يتولد في دمه مادة مضادة لسم الدفتيريا. فاذا أخذ دم هذا الحصان واستخرج مصله كان هذا المصل نافعا لإفـساد سم الدفتيريا، وإذا حقن به الإنسان وقت انتشار هذا المرض حفظه منه لمدة ثلاثة أسابيع عادة؛ وكذلك إذا حقن به المصاب بالدفتيريا نفعه نفعاً عظيماً وأدى الى شفائه

(٤) حقن ميكروب المرض نفسه ميتا أو بعد إطفاء تأثيره بطرق سيأتي الكلام عليها في داء الكلب، ونسمى المادة الحقونة « باللقاح » ومن ذلك حقن ميكروب التيفود بعد قتله وحقن ميكروب الكلب بعد إضعافه، وإن كان ميكروب الكلب الى الآن لم يكتشف بمعنى أنه لم يره أحد ولكننا موقنون بوجوده، فاذا لقح الشخص تولدت في جسمه مادة مضادة لهذا الميكروب الحقن، وبذلك لا يكون له تأثير في أحداث المرض. وقد يحقن الميكروب بدون إضعافه ولكن بمقادير قليلة جدا تزداد تدريجاً

والميكروبات التي تزرع بقصد الحقن منها ما يفرز سماً في السائل المزروع فيه

ومنها ما يكون سمه كامنا في جسمه - كما تقدم - وذلك مثل سم ميكروب الطاعون ولا بد من ملاحظة هذه المسألة قبل الحقن، فإذا أريد حقن حصان لاستخراج مصل منه نافع للطاعون فلا يجوز حقنه بالسائل الذي يربي فيه الميكروب فإنه يكاد يكون خاليا من السم اذ لا يخرج منه شيء يذكر من جسم الميكروب، ولذلك يجب أن تستعمل طريقة أخرى للوقاية من الطاعون كأن يحقن الشخص المراد وقايته بنفس السائل بدون تصفيته بعد قتل ميكروب الطاعون الذي فيه، وذلك بتعريضه مدة ساعة لحرارة درجتها ٦٥° بالمقياس المثني، ولا يصح قتل الميكروب بالغلي فإن ذلك يفسد سمه أو يغيره تغيرا يجعله غير صالح لما نريد وقد ذهب علماء هذا العلم في تفسير مسألة الوقاية مذاهب عديدة، نذكر هنا أشهرها: -

(١) مذهب القائلين (بنفاد السماد) ومعنى ذلك أنهم يقولون ان في جسم الانسان بعض مواد لازمة لحياة الميكروبات تكون كالسماد لها فاذا أصيب الانسان بمرض ما كالجدري مثلا نفد هذا السماد الضروري لحياة ميكروبه من جسم الانسان ولذلك لا يصاب به عادة مرة أخرى. وهذا التفسير أصبح الآن مردودا عند جمهور العلماء

(٢) مذهب القائلين باحتباس سم الميكروب في جسم الانسان، وذلك أن الانسان اذا أصيب بمرض ما تولد من الميكروب سم يهلك نفس هذا الميكروب ويفسرون بذلك سبب شفائه من المرض، ويقولون ان هذا السم يبقى في جسمه بعد ذلك ويقتل هذا الميكروب الخاص اذا دخل في جسمه مرة أخرى

(٣) مذهب الفرنسيين، وهم يقولون ان الكريات البيضاء في دم الانسان تقتل الميكروبات لا سيما اذا تعودت أكل نوع مخصوص منها فانها تلتهمه بشراهة قوية

(٤) مذهب الألمانين، وهم يقولون: ان الانسان أو الحيوان اذا أصيب بمرض ما أفرزت منسوجات الجسم المختلفة مواد تجري في دمه، وهذه المواد منها ما يهلك الميكروب ومنها ما يفسد سمه، كالمادة المتولدة في مصل الحصان التي ذكرت سابقا للوقاية من الدفتيريا أو لشفائها

٤٠٠ المواد الادامية والوقاية. حاملو الامراض [المنار: ج ٨ م ١٨]

والحق شائع بين مذهبي الفرنسيين والالمانيين . وأحسن المذاهب مذهب من يجمع بينهما كذهب بعض علماء الانكليز وغيرهم بأن يقول : ان الانسان اذا أصيب بمرض تولدت في جسمه تلك المواد التي قال بها الأليانيون، وهذه المواد تفسد سم الميكروب أولا وتضعف نفس الميكروب أو تقتله ثانيا حتى تقوى عليه كريات الدم البيضاء فيسهل عليها أن تقتله وتهضمه هضمًا

وقد عرف من عهد قريب أنه يوجد في دم الانسان في الحالة الطبيعية مواد تسمى المواد الادامية [Opsonins] وهذه المواد تؤثر في الميكروبات تأثيرا مخصوصا حتى تجعلها كأنها طعام لذيذ للكريات البيضاء، ولذلك سميت بهذا الاسم تشبيها لها بالادام

ومقدار هذه المواد يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال، وكلما كثرت كانت البنية أشد مقاومة للميكروبات . وهي تزيد بالحقن باللقاح وبالمرض اذا قاومت البنية أو غلبته

ومدة الوقاية من الامراض تختلف كثيرا ، فاذا أصيب الانسان بالزهري أو الجدري قل أن يعود اليه هذا المرض طول حياته واذا أصيب بالدفتيريا أو الالتهاب الرئوي فقد يعاوده المرض

ومن الناس من يجتمع في جسمه مرضان أو أكثر كاجتماع الدفتيريا مع الحمى القرمزية. وكانوا يظنون سابقا ان ذلك غير ممكن ولكن الحقيقة ان الجسم اذا أصيب بمرض كان أكثر تعرضا للامراض الاخرى مما اذا كان سليما وذلك لضعف قوة المقاومة

ومن الامراض ماتورث إما بنفسها كالزهري وإما بالاستعداد لها كالسل، فاذا كان أب الانسان مثلا مصابا بالزهري ولد ابنه مصابا به أيضا ، واذا كان مصابا بالدرن الرئوي (السل) كان ابنه غالبا خاليا من ميكروب هذا الداء ولكن جسمه يكون مستعدا له كل الاستعداد فيصاب به عادة عاجلا أو آجلا

حاملو الامراض

اذا أصيب المرء بمرض كالحمى التيفودية أو كان جسمه ممتلئا عليه لسبب ما

[المنار : ج ٨ م ١٨] حملة الأمراض . الكلوروفيل والشمس ٦٠٩

ودخلت الميكروبات في أمعائه فن الجائز أن تعيش في جوفه أشهراً عديدة أو سنين كثيرة ربما بلغت الخمسين بدون أن يشعر بمرض منها ؛ ولكنه يكون خطر على غيره من المستعدين لهذا الداء ، وذلك لان الميكروب يتكاثر في بعض أحشائه كالأمعاء أو المروارة أو السكلى والمثانة ويخرج في برازه أو بوله فيصل الى طعام الآخرين أو شربهم ويوردوهم موارد الهلاك . ويسمى العلماء أمثال هؤلاء الناس [حاملي الأمراض] ومنهم من يتكون عنده حصيات في المروارة بسبب هذه الميكروبات . ولبعض الأمراض الأخرى حاملون كالدفيريا والكوليرا وغيرها ومن ذلك يعلم أن الحاملين نوعان : (١) الحاملون الأصحاء ، وهم الذين لم يصابوا بالمرض مطلقاً وإنما كمن فيهم ميكروبه من غير أذى و (٢) الحاملون الناقهون ، وهم الذين يوجد فيهم الميكروب في أثناء النقاهة من المرض أو بعدها بمدة مديدة ، ويسمون حينئذ بالحاملين المزمنين

الفطر

نوع من الميكروب له خلايا عديدة وهو أيضاً من فصيلة النبات إلا أنه خال من الكلوروفيل ، ويتركب من خيوط دقيقة جداً مشتبك بعضها ببعض الآخر بغير نظام - وهو الأكثر - كميكروب القرع ، أو ببعض نظام - كما في الفطر الشعاعي [Ray - fungus]

وبين هذه الخيوط أو عند مركزها توجد حبيبات كالتى ذكرت في الميكروبات السابقة وهي بزور الفطر ومن الفطر ما يصيب الجلد فيحدث فيه أمراضاً متنوعة كالقرع ومنه ما يصيب الفم أو الرئتين وغير ذلك مما سيأتي بيانه في باب الأمراض المعدية ونخلو الفطر من الكلوروفيل لا يمكنه تحليل غاز ثاني أكسيد الفحم فهو بذلك يشبه البكتيريا

ضرورة الكلوروفيل والشمس للحياة

إعلم أن الكلوروفيل من أوجب ضروريات الحياة في هذا العالم إذ بوجوده في (المنار : ج ٨) (٧٦) (المجلد الثامن عشر)

٦٠٢ الكلوروفيل والشمس . الملائكة [المنار : ج ٨ م ١٨]

النبات يمكنه تركيب النشاء الضروري لتكوين مواد أخرى كثيرة مما في النبات وهي ضرورية للحيوانات أيضا ، وذلك بتأثير أشعة الشمس معه في الأجسام . ويحتاج الكلوروفيل لوجود مادة الحديد في الارض وان كانت لا تدخل في تركيبه ، بخلاف حمرة الدم فإن الحديد داخل فيها

واذا تأمل الانسان في هذا العالم وجد أن الحياة تفاعل في قوى المادة كتفاعل النار تبعا لسنن مخصوصة ، ومن الصعب أن يضع الانسان تعريفا لها جامعا مانعا لدخول مثل النار فيه فانها تشبه الاحياء في احتياجها الى غذاء (وقود) وتخرج منها أجسام كما تخرج إفرازات الاحياء وتنقسم كاتقسامها وتتحرك كحركاتها الى غير ذلك من الصفات المشتركة إلا أن حركتها لا تدل على شئ من الارادة كحركة بعض الاحياء (راجع صفحة ٤٢ و ٤٣ من الجزء الاول)

هذا — وكان المتقدمون يرون أن الشمس ضرورية لتكوين الكلوروفيل في النبات ولكن وجد أنه قد يتكون بجمرة عالية في الظلام التام ، ومن هذا نرى أن الحرارة أو النار سواء أكانت من الشمس أم من غيرها هي الاصل الاصيل للاحياء قاطبة ويصعب فصل مفهوم أحدهما (الاحياء والنار) عن الاخرى بالدلائل المقنعة

الملائكة

كان القدماء لصغر عقولهم لا يقدرّون على الاعتقاد بأن إلهًا واحدًا يمكنه تدبير هذا الكون العظيم كله فلهمذا أشركوا به تعالى غيره فجعلوا لكل شيء إلهًا وكذلك لكل قوة من قوى هذا الوجود حتى جعلوا لبعض أعمال الانسان آلهة . ومن ذلك ما نراه من أساطير اليونان مثلا فان لهم إلهًا للرياح وآخر للحرب وثالثا للنوم ورابعًا للنار وخامسا للزواج الى غير ذلك من الآلهة التي تكاد لا تعد . ولكل من هذه الآلهة اسم باليونانية يعرفه العالمون بتلك اللغة

ولما جاءت الرسل الى الناس كان من أكبر مقاصدهم أن يردوهم عن الشرك الى التوحيد فأبى أكثرهم ترك ما هم عليه ، ومن آمن منهم صعب عليه أن يترك جميع هذه الآلهة مرة واحدة ، فأخذوا يسمونها بأسماء أخرى ولكنهم بقوا معتقدين بوجودها

[النار : ج ٨ م ١٨] الأسرئيليات. لفظ ملك ٦٠٣

وتديرها لهذا الكون العظيم ، ومن ذلك ما نراه في أسرئيليات اليهود فاتهم ذهبوا الى أن لكل شيء في هذا العالم ملكا قائما بتديره فقالوا ان للمرض ملكا وكذلك للنار والماء والوحوش والطيور ولسائر الحيوانات والريج والبرد وللشجر لكل منها ملك ، والموت ملكان واحد يقبض أرواح القاطنين بأرض اسرئيل وآخر يقبض أرواح غيرهم من الساكنين في سائر البقاع الأخرى. ولم يكفهم ذلك بل زعموا أن الوباء (الطاعون) اذا انتشر فيهم كان بسبب ملاك يرسله الله تعالى اليهم ؛ ومن ذلك ما روي في سفر صموئيل الثاني (اصحاح ٢٤ : ١٥ - ١٧) ان داود رأى الملاك الذي ضرب بني اسرئيل بالوباء فمات منهم ٧٠ ألف رجل

وقد دخلت هذه الأسرئيليات في الاسلام مع من دخلوا فيه من أهل الكتاب ، وقال المسلمون بملائكة كملائكة اليهود مع أن القرآن الشريف لم يثبت الا وجود القليل منها كما هو معلوم . على أن لنا في فهم معنى كلمة « ملك » وجها آخر غير ما يفهمه أكثر الناس ، وذلك أن هذا اللفظ مشتق من (مأل) بضم اللام وفتحها ، وهو اسم الرسالة ، وقيل مأخوذ من لفظ (لأك) اذا أرسل ، وعليه فكلمة ملك تطلق على كل رسول ^(١)

(١) النار: مقاله الكاتب في هذا البحث ضعيف لغة وشرعا ، الا انه مذهب له واصطلاح خالف فيه الناس كما قال ، ولكن له فائدة لأجلها اجزنا نشره ، وهي ان المفكرين بما أصابوا من علم البشر القليل بشؤون الكون يتوهمون أنهم بذلك القليل من القليل قد أحاطوا علما بهذا العالم العظيم وبخالفه أيضا ، وان مالا ينطبق على علمهم لا يكون صحيحا وان كان ممكنا في نفسه. فمثل هذه التأويلات تقطع السنة هؤلاء الواهين المفكرين دون الاعتراض على النصوص ، أو تزيل شبهاتهم فلا يصعب عليهم الجمع بين علمهم وبين الدين ، ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا ، خير من ان يكون زنديقا معطلا

أما بيان ضعف ما ذكر لغة فلان الألفاظ التي صارت حقيقة شرعية أو عرفية لا يجوز أن يدخل في مفهومها كل ما يناسب الأصل الذي اشتقت منه ، وأما ضعفه شرعا فهو أظهر ، والملائكة من عالم الغيب الذي يجب على كل مؤمن الايمان به كما ورد في خبر الوحي من غير تأويل ولا تحريف ، ويكفي في ذلك كونه ممكنا عقلا ، والايمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الايمان والأول هو الايمان بالله =

٦٠٤ شريف لفظ ملك . الميكروبات من الجن [المنار: ج ٨ م ١٨]

فما يرسله الله تعالى الى هذا العالم من المادة أو قواها يصبح لغة أن يسمى ملكا بلا نزاع ، فالريح يسمى ملكا أو رسولا من الله ، ولذلك قال تعالى في الرياح (والمرسلات عرفا) والرعد كذلك ملك لانه يرسله الله تعالى لتخويف عباده وهكذا مما في هذا الكون من قوى المادة العظيمة كالغناطيس والكهرباء ، والى هذا الرأي يشير قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) فان الواجب أن تكون بين المعطوفات مناسبة فطفت الملائكة على الرعد يشير الى ان المراد منها بعض القوى الطبيعية كالكهرباء التي تحدث الرعد والبرق ولعدم فهم المفسرين هذه المناسبة في هذا المطف زعموا أن للرعد ملكا بالمعنى الذي يفهمونه (١)

ونحن اذا سمعنا قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) لا يتعين عندنا ان نفهم منه ما يفهمون فعزاءيل (٢) لم يرد ذكر اسمه في القرآن ولا في سنة صحيحة ، وانما هو اسم مشهور عند اليهود كانوا يسمون به بعض الناس وله عندهم عدة صيغ أخرى ولذلك لا تؤمن بوجوده

والذي أراه أن الميكروبات هي من رسل الله في هذا العالم فيجوز أن تسمى ملائكة ، ومنها ما يحدث الامراض المختلفة ، ولا تتحلل جثث جميع الموتى الا

== تعالى ، فهل يدخل في مفهومه هذه الميكروبات التي يصفها الكاتب بالدينئة الحقيرة ؟ كلا ، وأما ادخالها في مفهوم كلمة الجن فليس ببعيد لغة ولا ممنوع شرعا فقد ورد في الآثار ان الجن أنواع ومنه ماهو من خشاش الارض . ولا مانع في العقل ولا العلم من كون بعض عوالم الغيب من الملائكة موكلات ببعض شؤون الكون وسببا له . وتفصيل هذا البحث لا تتسع له هذه الحاشية

(١) ان قول بعض المفسرين بان الرعد ملك لم يكن مخترعا ومستنبطا بسبب عدم فهم ما فهمه الكاتب بل هي رواية قلها أهل التفسير الماثور الذين ينقلون كل ما بلغهم وتلك منة لهم علينا وهم لم يصححوها . وتسبيح الرعد من قبيل تسبيح الجبال

في سورة ص وتسبيح كل شيء في سورة بني اسرائيل

(٢) معناه في العبرية من يعينه (يهوه) أي الله

[المنار : ج ٨ م ١٨] ملائكة الموت — تحليل الجنة ٦٠٥

الميكروبات، فاذا انحلت الجثث خرجت منها غازات وعناصر وأجسام متنوعة؛ وإذا ذهبنا إلى أن الروح عبارة عن جزء من مادة الاثير متحد بالجسم لانستبعد خروج الروح عند انحلال الجسم بسبب عمل الميكروبات فيه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون) الآية

فغمرات الموت من (غمر) ومعناها وجود الجسم في أشد دركات الموت التي تغمره وهو وقت انحلال الجثة وبسط اليد كناية عما تفعله الميكروبات بها من التحليل والافساد، وقد ورد مثل هذه العبارة كناية أو مجازا حتى في حق من هو منزّه عن الاعضاء والجوارح فقال تعالى (بل يدها مبدسوطتان) (وراجع ١٧: ٣٠) وقوله (أخرجوا أنفسهم) هو ما تقوله الميكروبات بلسان حالها كما قالت السموات والارض (أتينا طائعين) والتعبير عن الميكروبات بضمير العاقل هو سنة القرآن من أوله إلى آخره فإنه يعبر غالباً عن كل ما يعمل عملاً من أعمال العقلاء بضميرهم، ومن ذلك قوله تعالى في السكاكب وهي أجرام جامدة (وكل في فلك يسبحون) وقوله في الاصنام (فراغ عليهم ضرباً باليمين) لان المشركين كانوا يعتقدون أنها عاقلة مدبرة

ولرفع التناقض الظاهري بين قوله تعالى (ملك الموت) بالافراد وبين قوله تعالى (توفته رسلنا) بالجمع نقول إن المفرد المضاف يعم كقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام) أي لياليه فكذلك يصح أن يكون المراد من ملك الموت ملائكته أو رسله أي ميكروباته، وهي عادة من النوع الباسيلي — كما تقدم — ومن أمثلة ذلك قولهم «حلت دودة القطن بأرض فلان» أي دوده فالمراد الجنس لا الفرد

ولا يقوم أحد مما ذكر أننا ننكر وجود بعض أنواع أخرى من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو، كلا! ثم كلا! فإن الايمان بالملائكة بالمعنى المشهور فرض على المسلم. وما يجب علينا الايمان به أن للوحي ملكاً (جبريل) وهو ليس من قبيل ما ذكرناه، وإنما مرادنا أن الميكروبات مما يدخل تحت لفظ الملائكة وليسوا هم كل الملائكة وآية فاطر التي ورد فيها ذكر الاجنحة للملائكة يمكننا أيضاً تطبيقها على

الميكروبات، فقد سبق أن لبعض الميكروبات أهداباً مشي (كما في ميكروبات الكوليرا) فإن لها هذين أحياناً في طرف منها وإذا اجتمع اثنين منها والتصقا معا جاز أن يكون لهما ثلاثة أهداب، وللميكروب الجحى الراجعة أربعة أهداب، وللتيفود أهداب عديدة، يزيد في الخلق ما يشاء، ولا شك أن الجناح يطلق على الجنب واليد والعضد والابط ومنه قوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك) فلا مانع من إطلاقها على هذه الأهداب التي هي بمثابة الأيدي للميكروبات . على أننا لسنا في حاجة الى تطبيق هذه الآية على الميكروبات ، فإنه ليس المراد من كون الميكروبات من الملائكة أن كل ما يسمى ملكاً يكون له أجنحة ويكون عاقلاً مكرماً عند الله بل المراد أن كل ما هو خاضع لأمر الله يرسله متى شاء فهو من ملائكته أي رسله

هذا — ولا يتوهم من قوله تعالى في سورة العنكبوت مثلاً عن لسان الملائكة . (إنا مهلكو أهل هذه القرية — ونحن أعلم بمن فيها — إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) الآيات أن القرآن — كتب الأمم الآخرة — ينسب الى الملائكة الأعمال التي تجري في هذا العالم حسب السنن الإلهية المعتادة كنسف القرى وقلب الأرض بالثورات البركانية ، فإن هؤلاء الملائكة كانت وظيفتهم قاصرة على اخبار إبراهيم ولوط بما قدره الله لقوم لوط ولزوجته وعلى ارشاده الى ما يجب عمله حتى ينجو مما سيحل بهم ، وإنما عبروا بتلك العبارات التي يفهم منها أنهم — هم أنفسهم هم الفاعلون لكي يت لا أنهم رسل الله أرسلوا بأمره وارشاده ليكونوا نائبين عنه تعالى في تبليغ ما أراد للوط فهم متسلون عن الله ولسانه جل شأنه، فالمهلك والعالم بحال الناس والمنزل الرجز هو الله الذي أمرهم أن يقولوا عنه ذلك، وقد تقدم لهذه المسألة نظير في قصة مريم وجبريل عليهما السلام (راجع صفحة ١١٨ من الجزء الاول) ولذلك قالت الملائكة للوط (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) كما في سورة الحجر مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الذي قدر كل شيء ، وإنما هم مبلغون بأمره عن قدره وعليه فالتقدير في سورة العنكبوت هو هكذا : (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا) تبليغنا عنا (إنا مهلكو أهل هذه القرية قال ان فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) أي قالوا عنا اننا نعلم بمن فيها (وقالوا لا تخف ولا تحزن انا

منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إذا منزلون على أهل هذه القرية
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا فيها آية بينة لقوم يعقلون) فالتكلم
الحقيقي في كل هذه الآيات هو الله تعالى كما هو ظاهر من آخرها ، والملائكة إنما
يرددون هذه العبارات لتبلغها إلى لوط بالنيابة عن الله تعالى ، فافهم ذلك ولا تكن
من الجاهلين

الجن

هذا اللفظ مشتق من مادة الجيم والنون، وهذه المادة تفيد معنى الستر ومن
ذلك قوله تعالى (فلما جن عليه الليل) أي ستره ، وأجن الشيء في صدره أي
أكنه ، والجنين المخلوق مادام في البطن ؛ والجنة السترة والجنان القلب لامتتاره
واستجن أي استتر بستره ، والجن الترس وكلها تفيد معنى الحفاء والاستتار، فلفظ
الجن يطلق أيضا على الميكروبات لاستتارها فهي ملائكة مرسلة من الله ومستترة
عن أعين البشر

ومن ذلك حديث (الطاعون وخز أعدائكم من الجن) وفيه إشعار بأن
للإنسان أعداء من غير الجن وهو صحيح

ونقول في خلقها إننا إذا لاحظنا أن الميكروبات نباتات والنباتات سابقة
لجميع الحيوانات فهي مخلوقة من الأرض بعد أن أخذت في البرودة
وإذا لاحظنا أن القرآن الشريف نص على أن الله تعالى جعل من الماء كل
شيء حي أمكننا أن نقول إنها خلقت باتحاد بعض العناصر مع الماء أو بخاره في
وقت كانت الأرض فيه شديدة الحرارة أو آخذة في البرودة

ولا يخفى على المطلعين على العلوم الطبيعية أن الراجح أن الأرض كانت شعلة من
النار مشتقة من الشمس، فإذا قلنا ان هذه النباتات هي أول ما كوّن من الأحياء في
الأرض فهمنا معنى أنها مخلوقة من النار إذ ليس معنى هذا الخلق أنها خلقت مباشرة
منها بل خلقت أطوارا كما أن الإنسان لم يخلق مباشرة من التراب بل خلق منه طورا
بعد طور . فالحق أن جميع الأحياء مخلوقة من الأرض والأرض مخلوقة من النار،

٦٠٨ خلق الجن . العدوى . الاحاديث المثبتة لها [المنار: ج ٨ م ١٨]

ولما كانت النباتات أول المخلوقات كانت أسبق منا الى طور النار وأقرب بها عهدا منا ، على أنه ليس المراد بكون الميكروبات أو غيرها من الجن أن كل ما يسمى جناً مخلوق من مادة واحدة بل معناه أن كل ذلك من العوالم الخفية المجتنة

العدوى

قبل الكلام في هذا الموضوع يجب أن نذكر ماورد من الاحاديث المثبتة للعدوى والنافية لها ثم نجتمع بينهما بما يفتح الله به علينا

فن الاحاديث المثبتة للعدوى :- (قوله ص) « كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين »^(١) وقوله (ص) « ان كان شيء من الداء يعدي فهو هذا » يعني الجذام (وقوله ص) « اتقوا المجذوم كما يتقى الاسد » وقوله (ص) لرجل مجذوم كان في وفد ثقيف « ارجع فقد بايعناك » وقوله (ص) « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع وأتم بأرض فلا تخرجوا منها فرارا منه » وهذا الحديث يصح أن يعتبر مبدأ يجري عليه الناس في مسألة الحجر الصحي المسمى باللاتينية (Quarantine) ومعناه الاصلي « أربعون » لان السفن الآتية من البلاد الموبوءة كانت تمنع من الاقتراب من شاطئ البلاد السليمة مدة أربعين يوما . فالرسول (ص) يريد بهذا الحديث أن يعمل المسلمون أيضا مثل هذا الحجر على البلاد الموبوءة فلا يدخلوا فيها لئلا يصابوا ، ولا يخرج الناس منها لئلا ينشروا العدوى بين الآخرين

وورد أن أبا عبيدة قال لعمر حينا خاف من طاعون الشام : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة : نعم فرارا من قدر الله الى قدر الله . وورد أن النبي (ص) قال « لا يُورَدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصْحٍ » وفي لفظ « لا يوردن ذو عاهة على مصح »

(١) يقول الاطباء إن ميكروب السل ينذر وجوده في الهواء حول المصاب بعد متر ونصف منه ، وربما كان الامر كذلك في الجذام

[المنار: ج ٨ م ١٨] الجمع بين احاديث العدوى ٦٠٩

ومن الاحاديث النافية للعدوى: - قوله (ص) « لا يعدي شيء شيئاً فمن أجرب الاول ؟ لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ووزقها ومصائبها » وفي حديث آخر « فمن أعدى الاول ؟ » وقوله (ص) « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ، ولا يحل المرض على المصح ، وليلحل المصح حيث شاء - قيل : ولم ذاك ؟ قال - لانه أذى » وقوله « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة - قيل : يا رسول الله ! أرايت البعير يكون به الجرب فيجرب الابل كلها ؟ قال - ذلكم القدر ، فمن أجرب الاول ؟ »

هذا شيء مما ورد في هذه المسألة ؛ وقبل الخوض فيها يجب أن نتذكر ما روي عن أنس أن الرسول قال * أنتم أعلم بأمر دنياكم * فعلى فرض أننا لا يمكننا تأويل الاحاديث النافية للعدوى فالمسلم لا يتحتم عليه أن يأخذ بها - كما سبق في صفحة ١٦٥ من الجزء الاول - فانه أدري بامور دنياه يأخذ منها ما ثبت عنده بالبرهان ، على أننا اذا راجعنا جميع هذه الاحاديث ظهر لنا أن النبي (ص) وأصحابه (رض) كانوا يعتقدون بالعدوى كما هو صريح ما ذكرناه منها أما نفي العدوى فيقال فيه ما يأتي : -

العدوى لغة هي انتقال المرض من شخص الى آخر ، وكانت العرب تعتقد أن المرض لا يأتي الا من مريض ولذلك قال (ص) لهم * فمن أعدى الاول ؟ * ولا يخفى أن المرض عرض لا يمكن أن يقوم بذاته وعليه فيستحيل أن ينتقل المرض من شخص الى آخر ، وهذا مما يفهم من قوله (ص) * لا عدوى * أي لا ينتقل المرض ، وهذا حق

أما انتقال جراثيمه فهو أمر كانت تجهله العرب فلم يكن حديثهم ولا حديث الرسل فيه . وأيضاً قد ينتقل الميكروب ولا يحدث المرض كما سبق في باب الوقاية ، فليس انتقال الميكروب شرطاً لحدوث المرض . ومن الميكروبات ما يكون منتشر في الهواء أو الطين أو غيرها وهي التي أصابت الاول المذكور في الحديث^(١) والميكروبات التي تصل الى الانسان لا تحدث فيه المرض الا اذا كان

(١) المنار : ان من يمرض بوصول الميكروب اليه من الهواء أو الطين =

مستعداله ، والاستعداد يكون بأسباب وأحوال أرادها الله تعالى وجعل السبب فيها على قدر المسبب وذلك ما يسمى بالقدر في الاحاديث ، فالاساس الاصيل في حدوث الامراض هو القدر ولولاه لما فعلت الميكروبات بالجسم شيئا مطلقا . وحكمة ذكر هذه الاحاديث بعد نصه (ص) على وجوب الابتعاد عن المرضى وتعليله ذلك بأنه أذى أي ضرر - هي أن الانسان يجب عليه أن لا يتغالى في أمر العدوى بمجرد اقترابه من المريض فان ذلك يحدث في الجسم وهما ووسوسة قد يؤديان الى ضعف حقيقي في الجسم أو العقل ، ويؤدي الناس الى الامتناع عن تمريض المريض أو معالجته لمجرد الوهم وفي ذلك ما فيه من الضرر

ولذلك تمجد الاطباء لا يبالون بالوسوسة في أمر العدوى ويقابلون كل مريض ويقتربون منه أشد القرب بل ويمسكون بأيديهم ما فيه الميكروبات ولا يجبنون فان العاقل يجب أن لا يكون جباناً ولولا ذلك لما تقدمت الابحاث العلمية كل هذا التقدم والخلاصة أن الخوف من العدوى يجب أن يكون في دائرة العقل فلا يجوز أن يفرط الانسان فيها ولا يجوز أن يفرط من الرعب منها فان ما قدر الله للانسان من حيث قوة بنيته أو ضعفها ومقاومتها للأمراض لا بد أن يكون واذا فرض أن أمراً كان مستعداً لمرض ما أتاه المرض من حيث لا يحتسب، فلذا كان الواجب الاعتدال في العدوى كما هو واجب في كل شيء

وعبارة عمر (رض) السابقة في القدر صريحة في وجوب العناية بأوامر الطب وعدم مخالفتها اعتماداً على القدر وهي من أعلى الحكم الفلسفية ومن مضار شدة الوسوسة في مسألة العدوى ان الموسوس يمتنع عن ملاسة كل شيء مما في هذا العالم الا بشروط مخصوصة توجب الاعياء والاعنات ، فمثلاً

= لا ينطبق عليه تعريف العدوى السابق

فان قيل: ان الميكروب الذي كان في الهواء أو الطين قد انتقل اليهما من شخص مصاب - تقول : ومن أعدي أول من أصيب بذلك المرض من البشر أو من الحيوان ؟ لا يمكن الجواب عن هذا السؤال الا بنفي حصر المرض بالعدوى المعروفة وإثبات أن من المرض ما حدث بأسباب أخرى، الا إن امكن اثبات أن أول البشر مثلاً كان مصاباً بجميع الامراض المعدية ولن يثبت هذا أبداً

[المنار: ج ٨ م ١٨] الصفر والهامة . خلود الميكروبات ٦١١

يتجنب لمس النقود ونحوها كالأوراق المالية ، ويتجنب محادثة الناس واستنشاق الهواء خوفاً من أن يكون مرّ على مريض أو موتي ، ويتجنب الأكل أو الشرب أو النوم أو الركوب في الحضر والسفر حيث يفعل الناس كل ذلك ، وفيه من الضرر البليغ ما لا يخفى على المفكر

أما الصَّفَر (بفتح السين) فهو ما كانت تزعمه العرب من أن في البطن حية تعض الإنسان إذا جاع ، والذع الذي يجده عند الجوع من عضها . وهذه الحية لا وجود لها في الإنسان السليم وإنما قد يوجد في البطن أنواع كثيرة من الديدان ، منها نوع يشبه الثعبان الصغير ولكنه غير موجود في جميع أفراد الإنسان كما توهموا وليس هو السبب في الاحساس بالجوع كما كانت تزعم العرب ، وقيل : إن معنى (لاصفر) أن الأمور الرديئة لا تقع في صفر دون غيره من الشهور بل هو كغيره ، ولا اعتقاد العرب أن هذا الشهر مشؤوم كانوا يحرمونه ويستحلون المحرم بدله

فأنت ترى من كلا التفسيرين أن ليس المراد نفي (صفر) مطلقاً بل نفي ما كان تعتقده العرب فيه ، سواء أكان اعتقادهم أنه دودة في بطن كل امرئ تحدث عنده الجوع أم كان شهراً مشؤوماً دون الشهور ، فكذلك ليس المراد من نفي العدوى نفيها مطلقاً بل نفي ما كانت تعتقده العرب فيها من أن الأمراض تنتقل بنفسها وأنه يتحتم حصول المرض بمجرد الاقتراب من المريض وأنه لا مرض يحصل إلا من مريض سابق ، وكلها ألوهام باطلة نفاها رسول الله (ص) وهو محق في ذلك كل الحق كما نفي الصفر وكما نفي الهامة

وأما الهامة فهي لغة الرأس وطير من طيور الليل يسمى الصدى وهو ذكر البوم وهو المراد في الحديث ، وكانت تزعم العرب أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة وتصيح على قبره — : اسقوني ! اسقوني ! فإذا أدرك بثأره طارت ، وهذا أيضاً من الخرافات التي جاء الإسلام بتطهير العقول منها

(استدراك على حياة الميكروبات)

ظهر مما سبق أن العلماء يعتقدون أن الميكروبات خالدة — كما يعبرون — وم كذلك يعتقدون أن المادة وقواها خالدة ، أفليس من أعجب العجب بعد ذلك

أن يعتقدوا أن الانسان غير خالد مع أنه أرقاها ولم تعتن الطبيعة^(١) بمخلوق اعتناءها به؟ - كما يقولون - أليس في محافظة الميكروبات على نوعها بالحبيبات (Spores) اشارة لنا الى أن روح الانسان هي كحبيبة الميكروب؟ وكما أن الميكروب ينتقل بذلك من طور الى طور فكذلك الانسان ينتقل بروحه من طور الى آخر فهل بعد ذلك يكون في حقيقة البعث شيء من الغرابة أو المنافاة لسنن الكون حتى ينكرها المنكرون؟!

الاحياء الطفيلية أو التسلقية

هي التي تسلق غيرها (أي تلوه) وتطفل عليه فتتغذى منه ، وهي نباتية وحيوانية ، والنباتية أكثرها فتكا بالانسان وغيره واشدها خطرا

النباتية

تشمل بعض أنواع البكتيريا التي يتركب أكثرها من خلية واحدة - كما سبق - والفطر الذي يتركب من خلايا متعددة - وقد تقدم البيان الشافي عنهما - ويلاحظ في هذه الاحياء النباتية والحيوانية أنها كلما دقت وصغرت كانت أشد خطرا من الكبيرة، والله في خلقه شؤون فكأنه تعالى قد وضع سره في أصغر خلقه (كما تقول العامة)

الحيوانية ، واشهر انواعها : -

- (١) ذوات الخلية الواحدة وتسمى بالافرنجية [Protozoa] وهو لفظ يوناني معناه الحرفي « الحيوانات الاولى » وأشهر أمثلتها جرثومة (الملاريا) - وتسمى بالعربية [الناقض] أي ذات الرعدة - وأحد نوعي (الدوسنطاريا) - وتسمى بالعربية [الزحار] أي التي تحدث الزحير - وبعض الخلزونات كحلزونى الزهري والحلى الراجعة وهذه هي التي تنقسم بالطول - كما قلنا - بخلاف البكتيريا فإنها تنقسم بالعرض ، وذلك من أهم ما يميز الواحد منهما عن الآخر
- (٢) حشرات صغيرة مركبة من خلايا عديدة ، تكون حيوانا صغيرا

مثل أكروس الجرب والقردان كافي بلاد السودان [Ticks] وهو جمع قُرَاد وكلاهما من الفصيلة المنكبوتية

(٣) حشرات كبيرة كالقمل والبراغيث والبق

(٤) السنغف وهو الذي يسميه الأطباء المحدثون [اليرقات] وهي الدود الذي يخرج من بيض بعض أنواع الذباب ويعيش في جلد الانسان أو أذنيه أو أنفه

(٥) الديدان بأنواعها والاكياس الدودية، ومن أشهر أنواع الديدان : —

(أ) المموية كالودودة الشريطية

(ب) الدموية كالبلهارزية وهي دودة اكتشفها في مصر الباحث الشهير ثيودور بلهارز [Theodor Bilharz] سنة ١٨٥١ وهي توجد في بعض أوردة الانسان (كالوريد الباب) وهي السبب في ما يصيب أكثر المصريين من البول الدموي أو البراز الدموي أيضا

(ج) اللمفاوية كالفلاريا [Filaria] وهي كلمة مأخوذة من اللاتينية ومعناها الخيط ، وهذه الدودة هي السبب في البول اللبني وداء الفيل

(د) الصفراوية كالودودة الورقية [Distoma Hepaticum] التي توجد في مرارة البهائم ومجري المرّة (الصفراء) فيها، وقد توجد في الانسان نادرا، وهي تشبه الورقة الصغيرة شبا تاما وطولها نحو ٢٥ مليمترا وعرضها ١٢ مليمترا وتكون مطوية على نفسها وقد تسد مجرى الصفراء في الانسان فتحدث عنده اليرقان وتنزل الصفراء في بوله

(هـ) الجلدية كالعرق المدني وهو نوع من الفلاريا يسكن تحت جلد الانسان خصوصا في أرجله، وهي كثيرة الوجود في سكان المدينة المنورة وبلاد الهند وغينيا (بأفريقية) والسودان

(و) المضطية كدودة الشعرة الحلزونية [Trichina Spiralis] طول الذكر منها ٥ و١ مليمتر وطول الانثى نحو ٣ مليمترات وهذه الدودة تسكن كبارها في أمعاء الانسان و صفارها في عصلاته. وانما ذكرت على حدة لان وجودها في الامعاء لا ينشأ عنه ضرر يذكر وكل الضرر من وجود صفارها في العضلات فانها تحدث

أما شديدا وهي تشبه الحمى التيفودية، والمرض الناشئ منها شديد الخطر على الحياة. وصغار هذه الدودة التي تسكن المضلات ترى فيها بالعين المجردة كنقط مبيضة صغيرة جدا طولها جزء من ثمانية وسبعين جزءا من البوصة، وهذه النقط هي الديدان وما أحاط بها من الغلف. وتصل هذه الدودة الى الناس من أكل لحم الخنزير. ويكثر وجودها بعض الكثرة في بلاد ألمانيا لكثرة أكل أهلها لحسم الخنزير. وتصاب الفيران بهذه الدودة أيضا فتنشر في عضلاتها، والفيران يأكل بعضها البعض الميت فتنشر الدودة بينها، وهي تأوى الى زرائب الخنازير وتموت فيها، والخنزير مولعة بأكلها أيضا فينتشر فيها المرض لذلك، ومنها يصل الى الانسان، وسيأتي ان شاء الله البيان الشافي عن جميع هذه الديدان وتواريخ حياتها والامراض التي تنشأ عنها تفصيلا

الامراض التي تنشأ من الاحياء الطفيلية

﴿ مقدمة في الحمى ﴾

ذكرنا في الجزء الاول (صفحة ١١ و ١٢) حقيقة الحمى ومنشأها وغير ذلك مما يتعلق بها اجمالا ونريد الآن أن نفصل القول فيها تفصيلا فنقول : —
الحمى هي ارتفاع حرارة الانسان عن الدرجة الطبيعية ، وتكون مصحوبة بأعراض كثيرة تصيب أجزاء الجسم المختلفة واليك تفصيلها :

الجلد — يكون باخنا وجافا غالبا وقد يندى بالمرق وفي بعض الحميات يكون العرق غزيرا ولون الوجه محمرا . وفي بعضها يظهر في الجلد ما يسمى « بالطفح » وهو أنواع كثيرة ، منها نقط حمراء تزول بالضغط عليها أو نقط ناشئة من نزف تحت الجلد وهذه لا تزول بالضغط ومنها بثور كما في الجدري . والظاهر أن سموم الميكروبات تحدث شللا في الاوعية الدموية للجلد أثناء محاولتها الخروج من البنية أو تحدث تهيجا أو التهابا في الجلد فينشأ من ذلك الشلل أو ذلك التهيج أو الالتهاب أنواع من الطفح تختلف باختلاف كل مرض وسيأتي بيانها . وفي بعض الحميات التي يكثر فيها العرق كالحمى التيفودية والرثية (الروماتزم) تشاهد

حبوب صغيرة جدا في الجلد ممثلة بسائل رائق وهي تتكون من ارتفاع الطبقات العليا للبشرة بتراكم العرق تحتها

الجهاز الهضمي - يكون اللسان مغطى في أول الامر بطبقة بيضاء ثم يجف وتزول هذه الطبقة من مقدم اللسان وحوافه فيرى لونه أحمر ، ثم يشتد الجفاف ويسمر لون اللسان ويتشقق وتجتمع عليه وعلى الأسنان والشفيتين أوساخ مسودة . ويفقد المصاب شهوة الطعام ، وقد يصيبه القيء ويكون الهضم ضعيفا جدا ويمسك البطن ويعظم حجم الطحال

الدورة الدموية - يسرع القلب في ضرباته في أول الامر ثم يضعف ، ويصل النبض الى ٨٠ أو ١٢٠ فأكثر في الدقيقة ، وتتمدد عضلة القلب بسبب الضعف التنفس - يسرع أيضا التنفس فيصل الى ٣٠ أو ٤٠ مرة في الدقيقة وإذا طالت مدة الحمى تحتنق قاعدتا الرئتين وتكثر النزلات الشعبية أو الرئوية

البول - يقل مقداره ويشتد لونه وترسب فيه أملاح حمراء من حامض البوليك وتكثر البولينا وتكون أملاح الكلوريد (كملح الطعام) قليلة عادة خصوصا في التهاب الرئة ، أما في الملاريا فتزيد هذه الأملاح عند ارتفاع الحرارة فيها

الجهاز العصبي - يكثر الصداع في أول الحمى ويشعر الانسان بتكسر في جميع الجسم ويسأم كل عمل جسماني أو عقلي وبعد قليل يصيبه ضعف في قواه العقلية ويميل الى النعاس وإذا نام ابتداء يهذي ، وبعد ذلك يكثر الهيجان ويزول النوم ويشتد الهذيان فيكثر المريض من اللغو ويصاب بما يشبه الجنون ، وقد يقوم من فراشه ويتشاجر مع ممرضيه أو أطباطه وقد يحاول أن يلقي بنفسه من نافذة المكان ، ثم تهدأ قواه ويصاب بالغيوبة فيفقد كل شعوره وقبل تمام الغيوبة يصاب بارتعاش في حركاته وتهاص في العضلات (يسمى بالاهتزاز الوتري) يلتقط أشياء وهمية يراها امامه في الهواء . وينتهي الامر به الى أن يبرز بدون شعوره ، ولعدم احساس المانة بما فيها يتراكم البول حتى تفعم به

(اختلاف الحرارة اليومي)

كما أن الحرارة الطبيعية تختلف في المساء عن الصباح^(١) كذلك حرارة الحموم تكون غالباً في المساء أعلى منها في الصباح ، وفي بعض الامراض تكون بالمعكس فترتفع صباحاً وتنخفض مساءً . ويسمى ذلك (بالطراز المقلوب) [Typus Inversus] كما في الدرن العام المسمى بالدرن الدخني

ومن الحرارة ما يكون دائماً الارتفاع بكثير عن الدرجة الطبيعية ومنها ما يقرب في الصباح من الدرجة الطبيعية ، ومنها ما تصل في الصباح الى الدرجة الطبيعية أو تحتها ولكن ترتفع في المساء كثيراً . وعند ارتفاعها يزداد التنفس والنبض كما سبق ، وقد تحصل للمحموم قشعريرة لا إحساسه بالبرد وإن كانت درجة الحرارة في الحقيقة عالية، ولكن لا انقباض أوعية الدم التي في الجلد يحصل له هذا الاحساس بالبرد

ومن الحميات ما يزول بالتدرج فتأخذ الحرارة في النقص يوماً بعد يوم حتى تصبح طبيعية، ومنها ما يزول دفعة واحدة فيشفى الانسان في ظرف ١٢ ساعة أو ٣٦ ساعة ، وعندئذ قد يصاب الانسان بالاسهال أو بالعرق الغزير أو يحصل له الرعاف ويسمى انخفاض الحرارة الفجائي (بالبحران) وبعد انخفاض الحرارة قد تبقى بضعة أيام أقل قليلاً من الدرجة الطبيعية

(درجات الحرارة المختلفة)

درجة الحمود أو الهبوط	٥ و ٣٥° أو أقل
الدرجة التي تحت الطبيعية	٤ و ٣٦°
الطبيعية	٣٦ و ٣٧° الى ٣٧ و ٣٨°

(١) سبب ذلك أن عمل جميع أعضاء الجسم في هذا الوقت يكون أقل بكثير من عملها في سائر الاوقات . وإذا عكس الحال فإن اشتغل الناس ليلاً تصير الحرارة مرتفعة صباحاً ومنخفضة مساءً . ويتبدى الارتفاع عادة من الساعة السابعة صباحاً الى الثانية بعد الظهر وتبقى على حالتها الى الساعة أو الثامنة مساءً ثم تنخفض الى الثانية بعد نصف الليل وتبقى كذلك الى الساعة السابعة صباحاً

[المنار: ج ٨ م ١٨] سبب الموت بالحمى . المضاعفات والعواقب ٦١٧

الحمى الخفيفة ما كانت فوق ٣٧.٥° بقليل

الحمى الشديدة ٣٩° الى ٤٠°

الحمى الأشد ٤٠° الى ٤٣° وفي النادر جدا ٤٤°

فاذا زادت الحرارة على ٤٤ درجة فلا أمل في الحياة غالبا ما لم تستعمل أشد العلاجات الفعالة وهي التبريد السريع بالماء والتلج

(الموت بالحميات)

يحصل الموت — إما من نهك الحمى للقوى بسببها مع طول المرض أو بشدة تسمم الدم في أيام قليلة — أو من زيادة الحرارة زيادة فاحشة كأن تصل الى ٤٤ مثلا ، واعلم أن طول التعرض لحرارة فوق ٤٠° سفتجراد يقتل (البروتوبلازم) ويجمده ، ويسمى ذلك بتيبس الحرارة [Heat Rigor] (أنظر ص ١٥ من كتاب فسيولوجيا هليبرتون) [Halliburton] — أو من شلل القلب — أو من المضاعفات الرئوية ، أو غيرها

ويكون الدم بعد الوفاة رقيقا مسودا ، وثقل كرياتة الحمراء وتكثر البيضاء ، وتشاهد أنزفة نقطية كلدغ البراغيث [Petechiae] أو أكبر في الأغشية المصلية كالبيورا أو الشفاف . أما الأحشاء (الكبد والطحال والكليتان) فتكون كبيرة رخوة ويحصل في خلاياها استحالات^(١) حبيبية أو دهنية وكذلك تصاب العضلات بتلف في منسوجها سنسكلم عليه في بحث الحمى التيفودية

(المضاعفات والعواقب)

كثيرا ما يطرأ على الإنسان في أثناء الحمى بعض أعراض أخرى مرضية تزيد المرض شدة فوق شدة ، وقد يصاب الإنسان أيضا بعدها ببعض أمراض تكون كالنتيجة لها . ويسمى النوع الأول بالمضاعفات ، ومثاله التهاب البريتون في الحمى

(١) وذلك بتحول بروتوبلازم الخلايا الى حبيبات دقيقة جدا ، وهي خطوة في سبيل الاستحالة الى شحم وبذلك يبطل عمل هذه الخلايا

(المنار: ج ٨) (٧٨) (المجلد الثامن عشر)

التيقودية. ويسمى النوع الثاني بالعواقب أو العقابيل، كالشلل عقب الدقيريا فإنه يصيب المريض بعد شفائه منها ببضعة أيام أو أسابيع

(معالجة الحمى)

يوضع المريض على فراشه ليستريح راحة تامة في مكان صحي طلق الهواء وتخفف عنه أغطيته وملابسه - بسكس ما يتوهم الجاهلون - نعم ينبغي أن تدفأ الأطراف السفلى خصوصا اذا ضعفت قوى المريض وأصابها البرودة والغذاء يكون من السوائل المغذية السهلة الهضم مثل اللبن والمرق^(١) وماء الشمير، ولا بأس من طبخها بقليل من دقيق بعض الحبوب أو بمسحوق ناعم من الخبز الاسفنجي الهش. ويحسن تحلية اللبن بالسكر أو غسل النحل المصفي. ويعطى للمريض أيضا المياه الغازية فإنها نافعة للمعدة. ومن المستحسن أيضا إعطاؤه بعض الاشربة الحلوة كشراب التمر الهندي والسكر مع الليمون وعصير البرتقال المصفي. ويشترط في هذه السوائل الحامضة أن يفصل بينها وبين تعاطي اللبن بنحو ساعتين ثلاثيتين فيتقياها المريض. وليشرب من الماء ما يريد فإنه منعش مفيد غاسل للسموم. واللبن المنار (لبن الزبادي) نافع جدا. ومن أسهل الاغذية مضما وأنفعها أن يمزج بياض بيضتين بنحو ربع لتر من ماء راشح ويحلى بعسل النحل النقي ويضاف عليه جزء من عصير الليمون ثم يثلج ويشرب منه المريض. ويجب أن تعطى هذه السوائل المغذية بمقادير صغيرة في فترات قصيرة متعددة كأن يعطى له اللبن قدر مل خمسة فناجين كل ساعتين مرة ويكون مقداره في اليوم نحو ثلاثة أرطال (مصرية) أو أربعة. وتبريده بالثلج محمود كثيرا ولا يتوهم أحد انه يوجد لاكثر هذه الحيات الآن دواء قاطع لسيرها في

(١) يقال أن المرق قد يزيد الاسهال في بعض أحوال الحمى التيقودية. وإنما تستعمل السوائل السهلة المغذية في الحيات لضعف المريض عن المضغ والبلع، ولجفاف الاعضاء وضعفها وقلة المصارات الهاضمة

الحال^(١) بل لا بد أن تتم أطوارها ، وإنما يمكننا تخفيف وطأتها وإضعاف شدتها لكيلا تفسد الاحشاء ، وكذلك يمكننا ملافاة كثير من أعراضها الخطرة كالتهاب الرئة أو ضعف القلب أو ما ينشأ من بعضها من الانزفة كالنزف المعوي في الحمى التيفودية

ومن الادوية ما يخفض الحرارة مؤقتا بعد استعماله بساعتين أو ثلاث ككبريتات الكينين (من ٢٥ الى ٣٠ قحمة) ولكن استعمال الماء البارد أفضل من جميع هذه الادوية . وطريقة ذلك أن تؤخذ حرارة المريض كل ٣ ساعات حرة وكلما وجدت ٣٩° فأكثر يوضع في الماء البارد مدة ١٥ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم يرفع منها وينشف جيدا ويوضع على فراشه بالراحة . فنجد أن الحرارة صارت طبيعية أو أقل ولكنها لا تلبث الا قليلا وترتفع وكلما عادت عدنا . ويجوز أن يلف المريض مدة ربع ساعة بمثل ملاءة بعد غمسها في الماء الثلوج . ولا يخفى من استعمال الماء البارد الا أشياء قليلة جدا وهي الهمود الشديد والنزف المعوي والمضاعفات الرئوية البالغة ، وظاهر أنه في حال الهمود أو النزف الشديد تكون الحرارة منخفضة وإذاً يكون استعمال الماء البارد لا مسوغ له من أول الامر . وفائدة هذا التبريد تحسين الاعراض عموما وتقليل حدوث المضاعفات والاستحالة الحبيبية للاعضاء

وإذا أصاب المريض همود في قواه يتعين استعمال المنعشات ، وأقربها اليانا القهوة والشاي والحر ، ولكن يشترط في استعمال الخمر أن لا تعطى بمقادير كبيرة لايام كثيرة والا حدث منها سرعة في النبض وشدة في الهذيان ، ومقدارها المعتاد من ٢ - ٨ أوقي (أو فناجين قهوة) في اليوم

ومن الادوية التي يستعملها الطبيب النافعة في الهمود الديجيتال^(٢) والنوشادر والاثير

(١) ولكن في مثل الحمى الراجعة تقطع سيرها حقنة ٦٠٦ في ٧ - ٢٠ ساعة ، والكينين يزيل حمى الملاريا في الغالب
(٢) هي كلمة لاتينية معناها الاصبع لأن أزهار هذا النبات كالاصابع

٦٢٠ اللبن الخاثر. الحقن الشرجية المغذية. وجوب البعد عن المحموم [المنازل: ج ٨ ص ١٨٣]

والاستركنين، ويستحسن اعطاء شيء من الپيسين مع حامض الهيدروكلوريك^(١) لتهوية هضم المعدة لقلّة إفراز هذين الجوهرين في الحميات. ويجب عند ابتداء المرض في جميع الحميات أن يعطى مسهلاً كالملح الانكليزي أو زيت الخروع لتنظيف القناة الهضمية والجسم

وإذا تعذر تغذية المريض في أثناء الغيبوبة غذي بالحقن الشرجية المغذية، وحُقن بالمنبهات وبمحلول ملح الطعام الطبيعي فإنه منعش مدر للبول مزيل لبعض سموم الميكروبات. وغرقى (يياض) البيضة اذا حقن في الشرج مع جرام ملح امتص منه ونفع المريض

(تنبيهان)

(الاول) في جميع الحميات يجب عزل المريض في مكان خاص بحيث لا يختلط به أحد من الناس مطلقا الا القائمون بتمريضه أو مداواته ، ولا يسمح لأحد بزيارته ، وذلك واجب طباً وقانوناً منعاً لانتشار العدوى بين الناس ، وليس فيه مخالفة لآداب الاسلام في عيادة المريض . فقد ذكرنا من الاحاديث ومن أقوال الصحابة كعمر (رض) ما يدل صريحاً على أن الانسان اذا خشي العدوى وجب عليه أن يتقي القرب من المريض . على أن الحميات اذا اشتدت أحدثت ذهولاً عند المريض بحيث لا يقدر على تمييز زائريه أو محادثتهم بالعقل والحكمة . وأيضاً فمن آداب عيادة المريض في الاسلام أن لا يطيل العائد المكث عنده حتى لو كان مرضه غير معد لأن ذلك قد يكون سبباً في مضايقة المريض . وفي الحديث أن قوماً شكوا اليه صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال «تحولوا فان من القرى التلف»

(١) لذلك كان اللبن الخاثر (لبن الزبادي) من أفضل الاغذية للمحموم لوجود حامض اللبنيك فيه فيسهل هضمه لذلك وقلّة مائه فلا يضعف العصير المعدي ، وهو مطهر بحموضته ونافع انزلات المثانة. والميكروبات التي تحدث حموضته مطهرة للأمعاء نافعة في أمراضها خصوصاً في التهاب الامعاء الغليظة فتمنع نمو الميكروبات فيها. وما تحدثه من حامض اللبنيك بتأثيرها في سكر اللبن أو العنب قاتل للميكروبات أيضاً. وسكر العنب هذا يوجد في الامعاء بعداً كل النشاء أو سكر القصب (راجع صفحة ٨٢ من الجزء الاول)

[المنار: ج ٨ م ١٨] الميكروبات المحبة للحرارة . شذرة من الخطب النبوية ٦٢١

والقرف مدانة المريض فصرح هذا الحديث يدل على وجوب البعد عن المرضى
لاجتباب التلف

(الثاني) الواجب أن يطهر الطعام الذي يعطى للمرضى بالغلي جيدا ثم يبرد
بسرعة فإن من الميكروبات ما يسمى « محب الحرارة » [Thermophilic]
وذلك لأنها تتكاثر في حرارة ٩٠° الى ٧٠° سنتجrad فاذا لم يطهر اللبن مثالا بالغلي
ولم يبرد سريعا انتهزت هذه الميكروبات فرصة سخونة اللبن اذا ترك يبرد بنفسه
فتتكاثر فيه وتحدث مواد تؤذي الصحة . وهذه الميكروبات توجد في الطين والماء
وغيرها ومنهما تصل الى اللبن . فلذا يجب قتلها بالغلي

الخطب الدينية

٢

﴿ شذرة من الخطب النبوية ﴾

مقتبس من مقدمة ديوان خطب القاسمي، والخواشي له الا مازدناه بعد اسم « المنار »

١

أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى ،
وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله تعالى ،
وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ،
وأحسن الهدى هدي الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة
بعد الهدى ، وخير العلم مانفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب .
واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة
حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الصلاة الا
دبرا (١) ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا (٢) وأعظم الخطايا اللسان الكذوب ،

(١) بفتحيتين وتسكن الباء وضمها لحن كما في القاموس . أي في آخر وقتها

(٢) بضم فسكون وهو القبيح من الكلام (المنار : ضبطوه بفتح الهاء وفسروه
بالترك) والاستثناء منقطع

وخير الفنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله تعالى ، وخير ما وقر في القلوب اليقين ؛ والارتباب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثاء جهنم ^(١) والكنزكي من النار ، والشعر من مزامير ابليس ^(٢) والحجر جماع الأمم ، والنساء جاثل الشيطان ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المآكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع ، والأمر بآخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب ^(٣) وكل ماهوآت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتال المؤمن كفر ، وكل لجه من معصية الله ، ^(٤) وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ^(٥) ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يبيع السمعة يسمع الله به ^(٦) ومن يصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعبده الله . اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، اللهم اغفر لي ولأمتي ، أستغفر الله لي ولكم . رواه البيهقي عن عقبة بن عامر والسجزي عن أبي الدرداء ، وابن أبي شيبة عن ابن مسعود

٢

أما بعد فان الدنيا خضرة حلوة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف

(١) الجثاء بضم الجيم وكسر هاء ثم مثناة ، ما اجتمع من الحجارة والجدوة (المنار: الجثي الاكوام والمعنى ان ما يؤخذ من الغلول وهو الخيانة في الغنمة إنما هو أكوام من النار أي ليس ربحا بل خسارة لانه سبب لدخول النار ، كقوله تعالى « إنما يا كلون في بطونهم نارا » (٢) يعني بالشعر ممهودا من أفرادهم وهو ما يتغنى به في محرم أو عليه أو ما يدفع اليه (٣) جمع راوية مبالغة في راو ، وهو من يروي الحديث (المنار: رجع ابن الاثير أن الروايا جمع روية وهي التروي والتفكر في الامر . وإذا كان الكذب عن روية كان أشد إثما وأشد ضررا) « ٤ » كناية عن اغتيابه وذكوه بما يكره وفي تصوير الاغتيال بأكل لحمه ابراز له على أخش وجهه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً « ٥ » تألى أي أقسم بأنه يفعل كذا البتة « ٦ » السمعة الشهرة ونشر الذكر

تعملون . فائقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء ؛
 الا ان الغضب جمة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ
 أوداجه؟ فاذا وجد أحدهم شيئاً من ذلك فالارض الارض . ألا ان خير الرجال من
 كان بطيء الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء
 الرضا ، فاذا كان الرجل بطيء الغضب بطيء الفيء وسريع الغضب سريع الفيء
 فانها بها^(١) ألا ان خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطلب ، وشر التجار
 من كان سيئ القضاء سيئ الطلب ، فاذا كان الرجل حسن القضاء سيئ الطلب
 أو كان سيئ القضاء حسن الطلب فانها بها . ألا ان لكل غادر لواء يوم القيامة
 بقدر غدرته . ألا واكبر الغدر غدر أمير عامة . ألا لا يمنع رجلاً مهابة الناس أن
 يتكلم بالحق اذا علمه ، ألا ان أفضل الجهاد كلمة حق عند أمير جائر - رواه
 الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد -

٣

انما هما اثنتان: الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي^(٢)
 هدي محمد . ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ، وكل محدثة
 بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ألا لا يطولن عليكم الامم فتقسوا قلوبكم ، ألا ان كل
 ماهوات قريب وإنما البعيد ما ليس بآت . انما الشقي من شقي في بطن أمه .
 وانما السعيد من وعظ بغيره . ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق . ولا يحل
 لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة . ألا واياكم والكذب ، فان الكذب لا يصلح لا بالجد
 ولا بالهزل . ولا يعد الرجل صبيه ولا يفني له . وان الكذب يهدي الى الفجور
 وان الفجور يهدي الى النار . وان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجنة ،
 وانه يقال للصادق: صدق وبر . ويقال للكاذب: كذب وفجر . ألا وان العبد يكذب
 حتى يكتب عند الله كذابا - رواه ابن ماجه عن ابن مسعود -

(١) المنار : أي واحدة بواحدة جزاء نخير الخصلتين يكفر شرهما

(٢) المنار : الهدي بفتح فسكون السيرة والطريقة

٤

يا أيها الناس كأن الموت على غيرنا فيها كتب ، وكأن الحق على غيرنا واجب ،
وكان الذي نشيع من الاموات سافر منّا قليل اليانا راجعون ، وأوليهم أجداً بهم
ونأكل تراثهم كأننا مخلدون ، قد نسينا كل واعظة ، وأما كل جائحة . طوبى لمن
شغله عييه عن عيوب الناس . طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وحسنت
علانيته ، واستقامت طريقته . طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة ، وأنفق مالا
جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ،
طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم يعد
عنها الى البدعة - رواه أبو نعيم عن علي -

٥

ان الحمد لله أحده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .
من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له ، ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زين الله في قلبه ،
وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على من سواه من أحاديث الناس ، انه
لأحسن الحديث وأبلغه . أحبوا من أحب الله . أحبوا الله تعالى من قلوبكم ، ولا
تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى قلوبكم ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه
حق تقاته ، وصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله عز وجل بينكم ،
ان الله يفضب أن ينكث عهده ، فالسلام عليكم ورحمة الله - رواه هناد عن أبي
سامة مرسل -

﴿ نخب من الخطب النبوية في يوم الجمعة ﴾

كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يخطب في غير يوم الجمعة لمصلحة تعرض ، أو
منكر يظهر ، أو أمر بصدقة أو إصلاح ، كما هو معروف في دواوين السنة وخدمتها (١)
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
«أما بعد فوالله اني لأعطي الرجل وادع الرجل . والذي أدع أحب الي من

الذي أعطي . ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والملع ، وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من التقى والخير ، منهم عمرو بن تغلب — رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق » — رواه الشيخان في صحيحهما —

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أما بعد فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول هذا من عملكم وهذا أهدي لي ، أفلا قمعد في بيت أبيه وأمه فينظر هل يهدي له أم لا ؟ فوالذي نفس محمد بيده لا يفل أحدكم منها (أي الزكاة) شيئا الا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه » الحديث (رواه الشيخان)

وقوله صلى الله عليه وسلم

« أيها الناس اتقوا الله فوالله لا يظلم مؤمن مؤمنة الا انتقم الله تعالى منه يوم القيامة » — رواه ابن حميد في مسنده —
من خطب الصديق رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين أحمدته واستعينه . ونسأله الكرامة فيما بعد الموت . وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وإن محمدا عبده ورسوله . أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، وسراجا منيرا ، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين . ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضل ضلالا مبينا . أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهذا كم به ، فانه جوامع هدى للإسلام بعد كلمة الاخلاص . السمع والطاعة لمن ولاء الله أمركم فانه من يطع والي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق ، وإياكم واتباع الهوى . فقد أفلح من حفظ من الهوى والطمع والغضب . وإياكم والفخر . وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغدا ميت فاعملوا

(المنار : ج ٨) (٧٩) (المجلد الثامن عشر)

يوماً بيوم وساعة بساعة . وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدوا أنفسكم في الموتى . واصبروا فان العمل كله بالصبر ، واحذروا فالحذر ينفع . واعملوا فالعمل يقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه . وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته ، وافهموا تفهموا ، وانقوا توقوا ، وان الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من نجا قبلكم ، قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه وما يجب من الاعمال وما يكره ، فاني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . واعلموا انكم ما أخلصتم الله من أعمالكم فربكم اطعم ، وحظكم حفظكم واعتبطكم ، وما تطوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا بسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم اليها . ثم تفكروا عباد الله في اخوانكم وصحابتكم الذين مضوا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه . وأحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت . ان الله ليس له شريك . وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً ، الا بطاعته واتباع أمره . فانه لاخير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وصلوا على نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته — رواه ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن موسى بن عقبة —

من خطب الفاروق رضي الله عنه (١)

أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله . الذي يبقى ويفنى ماسواه . الذي بطاعته يكرم أوليائه وبمعصيته يضل أعداءه . فليس لمالك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالة . تعلموا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ، فانه لم تبلغ منزلة ذي حق ان يطاع في معصية الله . واعلموا ان بين العبد وبين رزقه حجاباً فان صبر أتاح رزقه ، وان اقتحم هتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه ، فادبوا الخيل وانتضلوا واتعلوا وتسوكوا وتمعدوا (٢) وإياكم واخلاق العجم ومجاورة

(١) خطبها في الجابية قاعدة بلاد حوران في عهده رضي الله عنه واليها ينسب باب الجابية أحد أبواب مدينة دمشق الشام لان المسافر الى الجابية يخرج منه وقد خربت وانتقل عمرانها الى ماجاورها من قرية نوى والشيخ سعد

(٢) المنار : في حاشية الاصل « أي تزيوا بري معدني تخوشنهم وتشفهم » والمراد كونوا مثل معدن بن عدنان فيما ذكر فاستعمل التزيي في التشبه والزي في الشبه

الجبارين وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر وتدخلوا الحمام بفير مئزر .
واياكم والصغار ان تجعلوه في رقابكم . واعلموا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر^(١)
ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام . ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً
فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . لا يخلون رجل
بامرأة فان الشيطان ثالثهما . ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهو امارة المسلم
المؤمن . وشر الامور مبتدعاتها ، وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة .
وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فانه أهون لحسابكم . وزنوا أنفسكم قبل أن
توزنوا . وتزينوا للعرض الا كبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية . عليكم بهذا
القرآن فان فيه نوراً وشفاء . وغيره الشقاء . وقد قضيت الذي عليّ فيما ولاي
الله عز وجل من أموركم ووعظتكم نصحاً لكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لي
ولكم — رواه الحاكم وابن عساكر —

من خطب ذي النورين رضي الله عنه

أيها الناس اتقوا الله فان تقوى الله غنم . وإن أ كس الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت^(٢) . واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر . وليخش عبد أن
يحشره الله أعى وقد كان بصيراً . وقد يكفي الحكيم من جوامع الكلم . والاصم
ينادي من مكان بعيد . واعلم ان من كان الله معه لم يخف شيئاً ومن كان الله عليه
فمن يرجو بعده — رواه ابن عساكر —

من خطب الامام أبي الحسن على كرم الله وجهه

أما بعد فان المضمار اليوم وغدا السباق . الا وانكم في أيام عمل . من ورائه
أجل . فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خيب عمله . الا فاعملوا لله في
الرغبة كما تعملون له في الرهبة . ألا واني لم أرَ كالجنة نام طالبها . ولم أرَ كالنار
نام هاربها . الا وان من لم ينفعه الحق ضره الباطل . ومن لم يستقم به الهدى

(١) المنار : هذا وما بعده بضعة جمل مقتبسة من الاحاديث المرفوعة الى النبي (ص)

(٢) المنار : مقتبس من حديث مرفوع عن رواه احمد والترمذي وابن ماجه

جار به الضلال . الا وانكم قد أمرتم بالظعن وذُلّتم على الزاد . الا أيها الناس
 إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر . وان الآخرة وعد صادق، يحكم
 فيها ملك قادر . الا ان الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء . والله يعدكم مغفرة
 منه وفضلا والله واسع عليم . أيها الناس أحسنوا في عمركم تحفظوا في عقبكم ، فان
 الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه وأوعده ناره من عصاه . انها نار لا يهدأ
 زفيرها . ولا يفك أسيرها . حرها شديد . وقعرها بعيد . وماؤها صديد . وان
 اخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . الا لا يستحي الرجل ان يتعلم
 ومن يُسئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم — رواه ابن عساكر —
ومن خطبه كرم الله وجهه

حدثت وعظمت من عظمت منته . وسبغت نعمته . وسبغت غضبه رحمة .
 وتمت كلمته . ونفذت مشيئته . حمد عبد مقرر بر بوليته . متخضع لعبوديته .
 ويستعينه ويسترشده ويستهديه ويؤمن به ويتوكل عليه . شهدت له تشهد مخلص
 موثق . وبعزته مؤمن . ووحدة له توحيد عبد مدعن . ليس له شريك في ملكه .
 ولم يكن له ولي في صنعه . جلّ عن مشير ووزير . وعن عون معين ونظير .
 شهدت بيعت محمد عبده ورسوله . وصفيه ونبيه وحبيبه وخليفه . صلى الله عليه
 صلاة تحظيه . وتزلفه وتعليه . وتقرب به وتدنيه . بعثه في خير عصر . وحين فترة
 وكفر . رحمة منه لعباده . ومنة لزيده . ختم به نبوته . ووضح به حجته .
 فوعظ ونصح . وبلغ وكده . عليه رحمة وتسليم . وبركة وتكريم .
 وصيتكم معشر من حضرني بوصية ربكم . وذكركم سنة نبيكم . فعليكم
 برهة تسكن قلوبكم . وخشية تدرى دموعكم . وتقاة تنجيكم . قبل يوم يذهللكم
 ويبيدكم . يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته . وخف وزن سيئته . ولتكن
 مسئلتكم وتملككم مسئلة ذل وخضوع ، وشكر وخشوع . وتوبة ونزوع . وندم
 ورجوع . وليفتنم كل مفتن منكم صحته قبل سقمه . وشبيلته قبل هرمه وكبره .
 وسعته قبل فقره . وفرغته قبل شغله . قبل أن تجذب نفسه . ويحفر رمسه . وينفخ
 في الصور . ويدعي للنشور . في موقف مهيل . ومشهد جليل . بين يدي ملك

عظيم . بكل صغيرة وكبيرة عليم . حينئذ يلجمه عرقه فعبثته غير مرحومه . وضرعتة غير مسموعة . وحجته غير مقبولة . فورد جهنم بكرب وشدة . ندم حيث لم ينفعه ندمه . نعوذ برب قدير من شر كل مصير ، ونسأله عفو من رضي عنه . ومغفرة من قبل منه . فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل في جنة بقر به . وخلد في قصور مشيدة . وملاك حور عين وحفدة . وطيف عليه بكؤس . وسكن حظيرة قدس في فردوس . وتقلب في نعم . وسقي من تسنيم . هذه منزلة من خشي ربه . وحذر نفسه ، وتلك عقوبة من عصى منشئه . وسولت له نفسه معصيته . هو قول فصل . وحكم عدل . خير قصص قص . ووعد نص . تنزيل من حكيم حميد . نزل به روح قدس على قلب نبي مهتد رشيد . صلت عليه سفرة . مكرمون بررة . يتضرع متضرعكم . ويتهلل مبتهلكم . واستغفر رب كل مربوب لي ولكم ! ثم قرأ (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين) — رواه الخفاف في مشيخته^(١)

مختارات من خطب القاسمي

﴿ خطبة في الحذر من التطير والتشاؤم بخطب بها اول صفر ﴾

الحمد لله الذي بسط لنا موائد كرمه وافضاله ، وعمنا بمجوده وغمرنا بنواله ، فسبحانه من إله تاهت العقول في سبحات جلاله ، أحمده وأشكره ، وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله أن يجعلنا ممن وفقه لأصالح أعماله ، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة موحد له في غده وآصاله ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبي ميز حرام الشرع من حلاله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمنح قائلها الفوز في مآله ، وسلم تسليما .

أما بعد أيها الناس فائقوا الله واعلموا أن جميع ما يتقلب فيه الانسان طول

(١) المنار : الظاهر ان هذه الخطبة موضوعة على أمير المؤمنين كرم الله وجهه فأين هذا السجع المتكلف من خطبه التي تعد في أعلى مراتب البلاغة بعد كلام الله ورسوله

عمره ، إنما هو بمحض قضاء الله وقدره . ألا وإنه قد دخل عليكم شهر مباركة أوقاته ، ميمونة ساعاته ، لا ينسب إليه شر ولا خير ، بل هو صفر الخير ، وقد كانت الجاهلية يتشاءمون به وهو مبارك ، ويتطهرون منه وليس الله جل جلاله في مشيئته وتقديره بمشارك ، وإنما هو من شركهم وشرهم ، وسخافة عقولهم ومحض كفرهم ، وكيف ينسب فعل إلى شهر أو زمان ، والله خالق الزمان والمكان ، وقد بطل التطير والتشاؤم ولم يبق له أثر ، بما رواه البخاري في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد البشر ، أنه قال « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر » وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا ظننتم فلا تحققوا ، وإذا حسدتم فلا تبغوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب - فسئل صلى الله عليه وسلم عنهم فقال - هم الذين لا يكتبون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « الطيرة شرك » فمن اعتقد ما يتشاءم به سبباً مؤثراً في حصول المكروه فقد أشرك ، ولعقيدة التوحيد والموحدين ترك ، إذ لا فاعل إلا الله ، ولا مؤثر في الكائنات سواه ، وإنما الزمان ليال وأيام ، تختلف بتقدير العزيز العلام ، فلا شوئم لصفر ولا جهود لجمادى ولا بلاء ، ولا نحس ليوم أربعاء ، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى (ما أصاب من مصيبة فبأذن الله) وقال جل جلاله (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

﴿ خطبة لاول ربيع في وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ وعلامت محبته ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

(١) الخطبة من أولها إلى هنا من ديوان جد جدي لابي الامام الكبير والولي الشهير السيد محمد الدسوقي نسبا الدمشقي امام جامع حسان وخطيبه المتوفى ١٢٤١ بمزلة هدية قبيل المدينة المنورة ذهابا إلى الحجاز وقد بسطت ترجمته في تاريخي « تطير المشام في ما تروى دمشق الشام »

المشركون ، ومن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين . وأشهد
أن لا إله الا الله وحده لا شريك له في جلال إلهيته ، ولا مثيل له في عز ربوبيته ،
ولا كفوء له في أحديته ، ولا كيف له في صفات مجده وصمديته ، وأشهد أن
سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي دعا الى ثوابه وبشر ، وحذر من عقابه وأنذر ،
وأوضح سبيل الرشاد ، وجاهد فيه حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ،
وشملت رحمته وتمت نعمته ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار ،
وسلم تسليما

أما بعد فيا عباد الله اتقوا الله واعلموا ان الله تعالى اكمل المنة على المؤمنين ،
وأنعم نعمته عليهم بإرسال خاتم الأنبياء رحمة للعالمين ، فهداهم به من الضلالة ، وأتقدهم
بمكانه (؟) من الجهالة ، وفتح به أعينا عمياء وآذانا صماء وقلوبا غلفا منة وطولا ، وأرشد
به السبيل ، وأقام به معالم البرهان والدليل ، نعمة وفضلا ، ورفع به للتوحيد أعلاما ،
ومحاه به من الشرك ظلاما ، ثم جعل محبته مشروطة بمحبته ، وطاعته منوطة بطاعته ،
وذكره مقرونا بذكركه ، وبيعته مقرونة ببيعته ، فقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى
(ورفعنا لك ذكرك) وقال تعالى (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ثم بين
جل جلاله ان مخالفة أمر نبيه ضلال وخسران ، وأوعد عليه بالعذاب والخسران (١)
فقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم) وقال سبحانه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فحذر سبحانه وأوعد ، وأقسم واكد ،
ليعلموا أن من شعب الإيمان ، وكمال الاسلام والايقان ، اتباع سنته ، والتسليم لقضيته ،
وتوقيره وتعظيمه ، واجلاله وتكريمه ، كما قال تعالى (يا أيها النبي انا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) قال ابن عباس
وغیره : أي تبالغوا في تعظيمه . ألا وان من تعظيمه وتوقيره المطلوب ، إثارة حبه

(١) المنار : لعله أراد ان يقول « وافتتان » فسبق القلم ، او قاله فخرف في الطبع

على كل محبوب ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين) ومن توقيره وحببه ذكر شمائله التي تهز أعطاف المحبين ، ونشر فضائله التي تزيد في إيمان المؤمنين ، وإيراد سيرته وما كان عليه من الاخلاق تسليكا للمتبعين ، ثم هل تدرون من المحب للنبي صلى الله عليه وسلم . والصادق في محبته واجلال قدره المعظم ؟ المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القائم بامثال أوامره ونشر هديه الاكل ، والاعتصام بسنته والحض عليها واحياؤها بالطلب والعمل . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو المتخلق بأخلاقه الجليلة ، والمتحقق بأدابه الجميلة . المحب للنبي صلى الله عليه وسلم هو من تظهر علامات الحب على أحواله ، من الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله ، فليتخلق بأخلاقه الطاهرة من كان صادق الحب ، مخلص اليقين سليم القلب ، ولكن ما أكثر اللدعين وما أقل المخلصين ، عجباً لابن آدم يفهم ما يضره مما ينفعه ، ويسمع ولكن قلما يعمل بما يسمعه ، ويحضره العزم في مجلس الذكر الا انه يقوم ويدعه . فالى كم تهزه العبر وهو كالطفل كلما حرك نام ، ويقتحم المعاصي الكبر ويقول ان الله ذو مغفرة وينسى انه ذو انتقام ، فواخجل المقصرين من التوب يخ في محفل القيامة ، وياسوء منقلب الظالمين عند حلول الندامة ، وياحسرات الهاكين اذا عاينوا اهل السلامة ، ويا هو ان المتكبرين اذا حرموا دار الكرامة ، فرحم الله امرأ رجع الى ربه سريعاً ، قبل ان يقع لجنبه سريعاً ، وألقى الى الموعظة قلباً واعياً وسمعاً سميعاً ، قبل أن لا يسمع في مقام السوء الا توب يخاً وثقريباً . اللهم تداركنا برحمتك انك أرحم الراحمين ، وجد علينا بمغفرتك انك خير الغافرين

﴿ خطبة في شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة ﴾

الحمد لله الذي خلق كل شيء ، فأحسن خلقه وترتيبه . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . نبي أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحييه . ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه . وحرّم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . فصلى الله عليه وآله الطيبين

الظاهرين وسلم تسليماً . أما بعد فبإعباد الله اتقوا الله واعلموا أن آداب الظواهر، عنوان آداب البواطن ، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والاعمال نتيجة الاخلاق، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ، ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية ، لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ، وقد أدب صلوات الله عليه بالقرآن وأدب الخلق به ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق ، ولما أكل تعالى خلقه اثني عليه فقال تعالى (وانك لعلی خلق عظیم) فكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس يده قط امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه . وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه ويضع سائر ذلك في سبيل الله ، ولا يسأل شيئاً الا أعطاه ، وكان ينخسف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد ، ويجيب دعوة العبد والحر . يغضب لربه ولا يغضب لنفسه . يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد . يركب ما أمكنه ويردف خلفه . يحب الطيب ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين . ويكرم أهل الفضل ويتألف أهل الشرف بالبر لهم . يصل رحمه . لا يجفو على أحد . يقبل معذرة المعتذر اليه . ولا يقول الا حقا . يضحك من غير قهقهة ، يخرج الى بساتين أصحابه ويعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ، ما لعن خادماً ولا امرأة . ولا ضرب بيده أحداً الا في سبيل الله . يبدأ من لقيه بالسلام والمصافحة . يكرم من يدخل عليه . حتى ربما بسط له ثوبه يجلسه عليه . وكان أفصح الناس منطقاً وأحلام كلاماً . يتكلم بمجوامع الكلم . ولا يتكلم في غير حاجة . اذا سكت تكلم جلساؤه . وكان أحسن الناس نعمة . يعظ بالجد والنصيحة . وكان اذا لبس ثوباً جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً . وكان أرعب الناس في العفو مع القدرة . أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً . يمر على الصبيان فيسلم عليهم ، وكان أزهر اللون ليس بالطويل ولا بالقصير . بين كفيه خاتم النبوة . وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه . وبالجملة فأخلاقه السكاملة لا تحصى ، وشماله الحسنى لا تستقصى . وكل

٦٣٤ اتفاق اللغتين المروغليفية والعربية [المنار: ج ٨ م ١٨]

من أصغى إليها علم علو منصبه وعظم مكانته . وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما استفاضت به الأخبار ، وكان أعظمها معجزة القرآن الكريم والذكر الحكيم . أعجز البلاء عن مماثلته في عبارته . وأفخم الحكماء عن محاكاته في عظمته وهدايته . وتشريعہ للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم مادامت الدنيا . وانتظام السعادة بالمحافظة عليها في الأولى والأخرى ، ولما لم يدع قاعدة من أصول الفضائل إلا جلاها . ولا إمام من أمهات الصالحات إلا أحياها . ختمت النبوات بنبوۃ محمد صلى الله عليه وسلم وانتهت الرسالات برسالته . قال الله تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) وقال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (للخطب بقية)

المقارنة بين اللغة المصرية القديمة واللغة العربية*

٥

وصفتان طبيتان مصريتان

(الأولى) ورد في القرطاس الطبي - الذي نقلت عنه الوصفة الطبية التي نشرت في الجزء السادس من المنار - وصفة أخرى بمعناها ، وهي الثالثة والتسعون بعد المئة وهذا نصها ويليه تفسيره :

تميزست تمشأ عن ست لا تمشأ

بطيكا (١) ينت (٢) ويخبط (٣) على إرد (٤) التي مشأت ذكرا

(*) لعلامة الأتار المصرية أحمد بك كمال (١) بطيخ (٢) أي يلت ، فأؤها لام ، من لت الشيء إذا ذقه أو سحقه (٣) خبط يقابله في العربية شمط بمعنى خلط (٤) إرد مقلوب در وهو اللبن جعل أحد حرفي المضاعفة همزة في أول الكلمة كما مر نظيره في الجزء السابع

يؤري ^(١) مثل سم ^(٢) تسم الست ، ان كرات ^(٣) مشأت وان زعت ^(٤) (١)
لا تمشأ الى نخ ^(٥)

(المعنى)

لتمييز المرأة التي تلد عن المرأة التي لا تلد — يدهق البطيخ ويخلط على لبن
امرأة ولدت ذكرا ويجعل طعاما تأكله المرأة المراد اختبارها فان قامت ولدت ،
وان حصل لها رياح في المعدة لا تلد البتة

(الثانية) وورد فيه أيضا وصفة أخرى وهي الرابعة والتسعون بعد المئة وهذا
نصها ويليه تفسيره :

بطيكا يخلط على إرد التي مشأت ذكرا ويوتج ^(٦) في قطاتها ^(٧) فان جشأت
مشأت وان قاست ^(٨) لا تمشأ

(المعنى)

بطيخ يخلط على در (أي لبن) امرأة ولدت ذكرا ويوتج في فرجها أي
يحقن فيه فان غاثت وثقايات ولدت وان وجدت في جوفها رياح لا تلد

(١) أرسي : جمع الطعام (٢) سعمه : غذاه وسعمه تسعيا : غذاؤه المسعم حسن الغذاء
والعين المعجمة لغة فيه والعين في المصرية تنوب عن العين فيقال عني بمعنى غني غناء
(٣) كرات يقا بلها في العربية كرت بمعنى أمطرت « السماء » وهنا تفيد القيء (٤) زع
فعل يقصد به خروج الريح الذي يوجد في المعدة ومنه في العربية الزعزاع وهي
الريح الشديدة (٥) نخ مقلوب حان يحين حيناً : الى حين ، اي الى دهر مديد (٦) ونخ :
أعطى قليلا اي شيئاً فشيئاً (٧) قطاة : ما بين الوركين والعجز ومقعد الرديف من الدابة
وتدل هنا على الفرج (٨) قاس اي غاث وغي وجأش او جشأ لان القاف تقلب غينا او
جما كما ان السين تقلب تاء او شينا فيقال في العربية الدبس « عراقية » مقلوب الشدي فالسين
فيها بدل التاء وبالمصرية الشدي بالشين المعجمة ومن هنا يعلم ان التاء والشين والسين ينوب
بعضها عن بعض

عدل الاسلام

مقالة لانكليزية مسلمة ترجمت للمؤيد عن مجلة (اسلاميك ريفيو - اي المجلة الاسلامية) التي تصدر في وكنج بانكلترة فنشرناها مع تصحيح لبعض الالفاظ وهي :

إذا أخلص قلب الانسان (ضميره) في مطالعة تعاليم الدين الاسلامي وجدها أشد الاديان عدلا وصدقا ، وقد قضت تعاليم هذا الدين بأن العبد يخلق مجردا من كل خطيئة . فهو لا يرث ذنوب والديه ، ولا خبث أجداده

الاسلام يعلم أهله الاستقلال الشخصي (الاعتماد على النفس) ويجرد من نفس الانسان حكما عليها ، فهو يمكنه خلاص نفسه أو اهلا كما بأعماله ، فاذا عمل الخير وتحرى الصواب جنى ثمار الجزاء الحق ، واذا عمل سوءا يجزى به

وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (كل نفس بما كسبت رهينة) وينطوي في معنى هذه الآية كل ما يقتضيه العدل ، لان من الظلم أن يتحمل الانسان أوزار غيره ويستل عما ارتكب سواء . وقد قررت جميع الشرائع العادلة الجديرة بهذا الوصف أن من الظلم أن يعد أحد مجرما بجريمة غيره . وهذا من أصول الشريعة المحمدية أيضا ، ولا يزال هذا المظهر مظهر السيد المسيح الذي ينظر اليه المسيحيون باعتباره المحلص للعالم

واذا ولد الشخص من غير ارادة خاصة فيه ، وعجز عن تعرف مواطن الصواب ، ومقاومة الخطأ ، كان في عقابه أو إثابته كل ما يتصوره الخيال من الظلم ، وكان من العبث نفخ روح العقل والضمير فيه . ولكن تعاليم الاسلام صريحة في أن خالق العالم - وهو ربهم الحق - خلق الانسان ارادة واختيارا (وهديناه النجدين) وسيستل عن نتائج الطريق الذي فضله وسار فيه . فاذا اهتدى صفا ضميره وصفت سعادته ، واذا شقي وسار في الطريق المعوج كانت عاقبة أمره خُسرا ، ولكن الحكم على طفل صغير لا يفرق بين الغث والسمين لا يمكن أن يقال انه عدل . نعم انه ليس من العدل ولا من الشجاعة أن يحمل أحد أوزار غيره ثم يستل عنها . ومتى وكل الانسان بأمر نفسه تعلم وجوب الاعتماد عليها ، ومن المحتمل أن العبد اذا علم بأن

٦٣٧

تاريخ مولد محمد شفيع

[المنار : ج ٨ م ١٨]

غيره سيستل عما اقترفه هو أطاع هواه ولم يحترم نفسه ، فكيف يكون فخورا بمولده وحياته ؟

والجواب على هذا انه يوجد نوعان من الفخر - الفخر الوهمي الخاطيء والفخر الصحيح ، والاول منهما هو فخر الغطرسة وغش النفس ، وهو مقبول الطعم بجمل صاحبه أو صاحبه ينظر الى الناس بغير العين التي ينظر بها الى نفسه ، ثم يحتقر الجار والفقير ، وهي خطيئة فظيعة طالما حض النبي صلى الله عليه وسلم على اجتنابها أضف الى هذا ان الفخر الخاطيء ، يكون مجلبة للفيرة والطمع الكاذب . ويملا أوداج صاحبه بالفخفة الخارجة عن الحد

والفرق بين هذا الفخر وبين الفخر الصحيح هو أن الذي يبذل مجهوده في أداء الواجب بارضاء الله ومساعدة النوع البشري يثبت في قلبه حب السلام الذي لا يعطيه الله الا للمجتهدين من عباده ، واذا عمل العبد نهاية الخير لم يسأله الله أكثر من ذلك ، ولم يؤاخذه اذا قصر طوقه عما ليس في مقدور أمثاله من البشر ، وهو القائل على لسان نبيه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) الاسلام دين حق يعلم الناس العدل ، وأسست مبادئه على العدل ، فهو يحرم الخمر والمقامرة والزنا

تاريخ ميلاد ولدنا محمد شفيع

﴿ لصديقي الوفي شيخ الخطباء والمحامين (وكلاء الدعاوي) اسماعيل بك عاصم ﴾

تاريخ ميلاد محمد شفيع نجمل حضرة صديقي العزيز الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزهراء

سر يا بشير التهامي للرشيد وقل	(بشري فقد أنجز الاقبال ما وعدا)
قد لاح نور ابنه نعم الشفيع به	(وكوكب السعد في أفق العاصم)
فرعنا عن أصول طاب عنصرها	أنعم بمولده أكرم بمن ولدا
وكان في رمضان يمن طالعه	كليلة القدر فيها للنفوس هدى
محمد دام بسمو للفضائل عن	أب يقر به عينا وقد حمدا

عساه يأتي بنفع مثل والده وأنه يتحرى مثله رشداً
وعاصمٌ عن رضاٍ عنه أرخه رشيدُ بشراك في نجل سناه بدا

سنة ١٣٣٣ ٥١٤ ٥٢٣ ٩٠ ١١٦ ٨٣ ٧

الشطران اللذان كل منهما بين قوسين هما مطلع أحسن قصيدة قيلت تهنة
لأحد الخلفاء بميلاد ولده كما قال صاحب كتاب خزانة الأدب وقد ضمنهما هنا
أحسن تضيئين اسماعيل عامم

* تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب كشف الكربة في وصف حال أهل العربة

تأليف الشيخ الامام العالم الزاهد أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي
وهو شرح لحديث « بدأ الاسلام غريباً — » وقد قام بطبعه واعتنى بتصحيحه
الشيخ أحمد محمد شاكر قطبته بمطبعة (النهضة) طبعاً نظيفاً على ورق متوسط
صفحاته ٣٠ وثمنه قرش واحد ويطلب من مكتبة المنار خاصة

كتاب المبادئ النافعة ، في تصحيح المطالعة

ألفه الاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق شيخ رواق الصعايدة بالازهر عند
ما كان مدرسا للعلوم العربية بالمدارس الاميرية . وقد قرر المجلس العالي في اللائحة
الداخلية للمعاهد الدينية تدريسه لطلبة السنة الاولى

طبع في المطبعة المصرية في الاسكندرية وصفحاته ٤٠ وثمنه قرشان
عنوان الظرف في فن الصرف

للاستاذ الشيخ هارون عبد الرزاق المذكور ثمنه نصف قرش
الدروس الاولى في العقائد الدينية

طبع للمرة الثانية في المطبعة السابقة الذكر سنة ١٣٢٦ هجرية وصفحاته ٤٦
بالقطع الصغير وثمنه قرش واحد

(*) عهدنا بتقريظ المطبوعات الى شقيقنا السيد صالح مخلص رضا

ومباحته هي : ١ - في حقوق الاستاذ والوالدين - ٢ - في حقوق الله تعالى
- ٣ - في حدوث العالم - ٤ - في الوجدانية - ٥ - اجمال الصفات - ٦ - أول ما يجب
على الخلق خالقهم - ٧ - في الوجود والقدم والبقاء الى آخر مباحث الصفات - ١٤ -
في الصفات والاسماء الحسنى... ٧ - في معرفة الله وطاعته وفي بعثة الرسل وصفاتهم
الى آخر المباحث التوحيدية المشهورة

الدروس الاولى في السيرة النبوية

طبع للمرة الثانية بمطبعة الجمالية بمصر صفحاته ٤٧ بالقطع الصغير ومباحته هي :
نسب النبي (ص) ونشأته وبعثته وخروجه من الشعب الى دخول الانصار في
الاسلام وبيعتي العقبة الى الهجرة والهجرة والغزوات وصالح الحديد ومرضه (ص)
وموته والاهتداء بهديه وخلافة الصديق وعمر وعثمان وعلي ثم دول الاسلام الكبرى
وفي ولاية مصر من فتحها الى الآن

الدروس الاولى في الاخلاق المرضية

طبع للمرة الاولى بمطبعة جاليتي بالاسكندرية صفحاته ٤٨ بالقطع الصغير
ومباحته هي : نصيحة الاستاذ لتلميذه ، الوصية بتقوى الله ، حقوق الله ورسوله ،
حقوق الوالدين ، حقوق الاخوان ، آداب طلب العلم ، آداب المطالعة والمذاكرة ،
آداب الرياضة والمشى في الطرقات ، آداب المجالس والحديث آداب الطعام
والشراب ، آداب العبادة والمساجد وفضيلة الصدق والامانة والعفة ، المروءة
والشهامة وعزة النفس الخ

هذه الرسائل تأليف الاستاذ الشيخ محمد شاكر الذي كان شيخ علماء الاسكندرية
ثم وكيل مشيخة الازهر ومن كل منها ١ وتطلب من مكتبة النار وغيرها

ديوان غصن النقا

من نظم الشاعر الذكي اللوذعي ، الشيخ رشيد مصوبع البناني ، طبع بمطبعة
المقتطف سنة ١٩١٥ على ورق جيد صفحاته ٨٨ بالقطع الوسط ويطلب من مكاتب
مصر ومن ناظمه

عرفنا الناظم من أذكي شعراء العصر، وباريس من أجمل مدن العالم كما هو معلوم بالتواتر، وناهيك بشاعر ذكي عربي أم هذه العاصمة الزاهرة فجمع في مخيلته جمال التصوير المعنوي والحسي، فنظم هنالك ديواناً فاق ما نظم قبله من الدواوين جعل الناظم ديوانه هذا هدية إلى الموسيو دلكاسيه نابغة ساسة فرنسة ووزير خارجيتها وقد نظم معظمه في باريس، فن قصائده ما مدح به الموسيو بيشون والموسيو دلكاسيه ومنها ما عنوانه «باريس والجمال» و«وداع باريس» و«وصف باريس وانتقاداتها» و«المحل وباريس» و«باريس ووقتها» و«في مفتون في باريس» و«موحش باريس» وغير ذلك

وحسبنا نموذجاً من الديوان هذه الأبيات التي مدح بها صاحبه الموسيو دلكاسيه ناظر الخارجية الفرنسية فانها على كونها تعد من المقاطيع لا القصائد تمثل ذوق الناظم في الغزل والثناء والمدح والفخر — قال :

تحكي الامام اليازجي بطلمة	ترهو وبالقد الرشيق العادل
فاذا حزنتُ عليه قتَ مقامه	فأعدت لي فرحي بذاك الراحل
ياطرف ابراهيم اذبلت الثرى	أسفي على طرف الحبيب الذابل
قم وانظر اليوم الرشيد فانه	يختال مثل السميري المسائل
يختال في أكناف دلكاسه النبي	هز الحسام بوجه ذاك العاهل
هذا بفضلك يا حبيب ولم أصل	لولا التفاتك للوزير الفاضل
قلدتني سيف البيان فكان لي	يوم المتى أمضى جميع وسائل
ان كان بدر الوجه عني أفلا	فبدور علمك في غير أوافل
حاكك في الشكل الوزير ودونه	في ود قلبك كان خير مشا كل
فرنا الي بأعين مملوءة	عطفا علي وكان اكرم باذل
وأجل منزلتي وأعجب بي كما	أعجبت بي وأشدت بي بمحافل
ان كان ركن العلم مال فلاهوى	ركن السياسة والعلى والنائل